المشرق

البابا اكليمنضوس الرابع عشر

والغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة

نظر تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

قامت قيامة اصحاب حرِّيَّة الضمير في هذه الأيام بعد ان شجب غبطة البطريرك مار الياس الحويك بطريرك الطائفة المارونيَّة وكافَّة المشرق شيعتهم بسيف الحرم الكنسيّ لئلَّا تبقى كما يقول الرسول (٢ كور ٦ : ١٤) «شركة بين البرّ والاثم ومخالطة النور مع الظلمة وائتلاف المسيح مع بليعال وحظّ للمؤمن مع الكافر». فكان لهذه الضربة اللازبة اسوأ وقع في قلوب انصار الماسونيَّة وناربت ثائرتهم ورفعوا عقيرتهم ظنًّا منهم أنَّ تلك الجلبة تقوى على إفحام صوت الحقّ . فكانت نتيجة هيجانهم على عكس ما أمَّلوهُ

واذ عرفوا عجزهم من هذا القبيل طلبوا لهم فرجاً من ذاك الخناق فلم يجدوا الَّا ان يتحرَّشوا بالرهبانيَّة اليسوعيَّة ليحوِّلوا نقطة الجدال عن مركزها شأن كلّ مغلوب . فاخذ فارسهم في جريدته الحرِّيَّة يهرف بما لا يعرف فنسب الى الرهبانيَّة اليسوعيَّة مآثم لا وجود لها الَّا في دماغه الماسونيّ بيَّنت لهُ جريدة البشير كذبهُ الفاحش في كلّ منها . والعجب العُجاب انهُ لا يخجل مع فضوح امره من ان يردّد أبن البشير اقرَّ مسلَّماً بما ابتدعهُ من الاكاذيب والتلفيقات الشائنة

بيد أنَّ بين مخترعاته امرًا واحدًا يتَّخذهُ اعداء الرهبانيَّة اليسوعيَّة كسلاحهم

القاتل وسيفهم البتّار لا يستطيع اليسوعيّ على زعمهم اذا شهروهُ الّا ان يرضخ لحكمهم صاغرًا خجلًا ألا وهو إلغاء الحبر الاعظم اكليمنضوس الرابع عشر لطغمة يسوع سنة ١٧٧٣ فهذا على رأي الماروني الماسوني وذويهِ في الحرية ثوبٌ يجلب اليسوعيّ عارًا ومن ثمّ لا يزالون يطبّلون بهِ ويزمّرون وسترى « ان طبلهم مفخوت وزمّارتهم مبحوحة »

ومن غريب الامور انّ احد مكاتبيهم في حلب ارسل اليهم تلك البراءة معرّبةً وجد منها نسخةً مخطوطة في الشهباء فظنّ صاحب الحرّيّة بنقلها في جريدته انهُ اصاب الهدف وان جهيزة قطعت قول كلّ خطيب. ولو كان التويني او احد مناصريهِ شاء ان يوفّر عليهِ تعب التفتيش وقصد كليّتنا لأطلعناهُ على تلك البراءة لا معرّبةً تعريباً ركيكاً لكن في اصلها اللاتيني المطبوع في كلّ تواريخ رهبانتنا فضلًا عن الترجمة العربيّة التي لا تخلو منها مكتبتنا الشرقيّة فيعلم بذلك انّنا لا نخجل البتّة من تلك البراءة التي لا توهّنا مطلقاً وانّما تُحقّق في رهبانيّة يسوع ما قيل عن سمعان الشيخ (لوقا ٢ : ٣٤) « انّ هذا قد جُعل هدفاً للمخالفة »

الرهبانيّة اليسوعيّة قبل براءة البابا اكليمنضوس الرابع عشر

كلّ يعلم انّ رهبانيّة يسوع أُنشئت في اواسط القرن السادس عشر في وقت كان الكرسيّ الرسوليّ يهتمّ باصلاح الجمعيّات الرهبانيّة وبالغاء بعضها وهو مع حاشيتهِ من الكرادلة مصمّمو النيّة على ان يرفضوا تثبيت كلّ رهبانيّة جديدة. لكنّ البابا بولس الثالث بعد ان وقف على رسوم القديس اغناطيوس دي لويولا مؤسّس الرهبانيّة اليسوعيّة لم يتمالك من ان يصرخ : « انّ هاهنا اصبع الله » وهكذا حكم مثلهُ لفيف الكرادلة فاثبت الرهبانيّة وقوانينها سنة ١٥٤٠ بمنشور خاصّ اوّلهُ : Regimini militantis Ecclesiæ دون ان يغيّر حرفاً في الرسوم المذكورة. وكان وقتئذٍ المجمع المسكوني الترينتيني معقودًا اجتمع فيهِ نخبة ارباب الدين من كلّ الدول الاوربيّة فاثنى آباؤهُ ثناء عاطرًا على الرهبانيّة الجديدة ومآثرها الجليلة

ثمّ عاد بولس الثالث في اربعة مناشير أخرى فقرّر حكمهُ الاوّل وخوّل رهبانيّة

يسوع نعماً واسعة جزاء لما رآهُ وسمعهُ من اعمال اعضائها في كل الدول الاوربية . وسار على مثالهِ خلفاؤهُ يوليوس الثالث وبيوس الرابع وبيوس الخامس وخصوصاً غريغوريوس الثالث عشر وكانت الرهبانيَّة في تلك الحقبة أتت في فلاحة كرم الربّ من المآثر الخطيرة ما لا تحصرهُ المجلَّدات الضخمة الَّا أنَّها هيَّجت على الرهبانيَّة نقم اعداء الكنيسة ولاسيَّما البروتستانت الذين وجدوا في ابنائها سدًّا متيناً صدَّهم عن مناهضة بيعة الله ونَشر بدعتهم كما أنَّ تلك النعم الرسوليَّة أثارت في قلوب بعض اعدائها روح الحسد والمنافسة

ولم تكفَّ مواهب الاحبار الرومانيين لابناء القديس اغناطيوس بالسابق ذكرهم بل توالت عليهم دون انقطاع في مدَّة القرن السابع عشر والثامن عشر كما يشهد عليهِ مجموع المناشير والبراءات البابويَّة الذي في يدنا والذي يبلغ عدد صفحاتهِ الى براءة اكليمنضوس الرابع عشر ٣١٢ صفحة من القطع الكبير وهناك ٩٥ منشورًا تباعاً لجميع البابوات يثنون فيها على الرهبانيَّة اليسوعيَّة وقوانينها واعمالها في كلّ اقطار المعمور

وكان اذا وقع شيء من الخلاف بينهم وبين سواهم تُرفع الدعاوى الى الكرسيّ الرسولي فتنتهي بتاتاً عند حكمهِ لطغمة يسوع او عليها فيكرّر اليسوعيُّون الكلمة التي قالها القديس اغوسطينوس : قد حكمت رومية فانتهت كلّ دعوى (Roma locuta est, causa finita est) وربَّما حصل بعض الخلاف بينهم وبين ارباب الدول الذين كانوا يطمعون في اخضاع اليسوعيين لسياستهم خلافاً لقوانينهم فكان الحبر الروماني يعضدهم ويردّ معهم تلك المطامع الباطلة

ومما لا يُنكر انَّ الرهبانيَّة اليسوعيَّة في مدَّة حياتها الطويلة البالغة ٢٣٣ سنة قبل الغائها لم تأتِ شيئاً يمسُّ شرفها او يبخس شأنها في وجه الكنيسة فلم يرَ الاحبار الرومانيُّون مسوغاً لإصلاح شيءٍ من قوانينها او رسومها

وكان آخر بابا جلس على كرسيّ هامة الرسل اكليمنضوس الثالث عشر (١٧٥٨—١٧٦٩) من اشهر اهل زمانهِ براً وتُقىً وتفانياً في صوالح الكنيسة . ففي عهدهِ ضمَّ اعداء الدين في سائر انحاء اوربَّة قواهم لتذليل الكثلكة وتعزيز الكفر . واذ شعروا بان الرهبانيَّة اليسوعيَّة بمواعظها وارشاداتها وتآليفها ومدارسها هي العائقة

الكبرى لتنفيذ مآربهم تحاملوا عليها بدسائسهم واكاذيبهم المعتادة وحملوا الملوك على نفي ابنائها وكرروا الحملات المتوالية عليها لدى الكرسي الرسولي لكي يلغيها فقام اكليمنضوس الثالث عشر يتصدى لغاراتهم وينتصر للمظلومين وقد كتب في ٧ كانون الثاني سنة ١٧٦٥ ذاك المنشور الشهير الذي بدؤه Apostolicum pas-) (cendi والذي سيبقى في سجلات الكنيسة كأشرف أثر واطرإ مديح للرهبانية اليسوعية واعمالها وادمى جرح في قلب الكفر وزعمائه يفند فيه كل افتراءات اعداء طغمة يسوع. وكنا وجدنا نسخة عربية من هذا المنشور في مكتبة دير الشير لحضرة آباء الرهبانية الباسيلية الحلبية فنشرناها بحرفها الواحد في مجلة المشرق (١٧[١٩١٤]: ٥٨٩–٥٩٣) وندفع الترسون الى مطالعتها ليقابلوها ببراءة اكليمنضوس الرابع عشر ويحكموا فيهما حكماً منصفاً ولم يتوسطبين تاريخ البراءتين الا سبع سنوات

ولدينا ايضاً الرسالة التي كتبها القديس الفونس ليغوري رافع منار النصرانية في عهده الى البابا اكليمنضوس الثالث عشر يهنيه ويشكره على تلك الرسالة التي دافع بها عن الرهبانية اليسوعية وردّ عنها تهم اعدائها وقدّس كلّ اعمالها ومشروعاتها

سوابق البابا اكليمنضوس الرابع عشر واوّثاره

قلنا ان الشرّ كان متفاقماً في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وهو عصر الفلاسفة الكذبة وعصر فولتير وروسّو اللذين وصفهما السيد جمال الدين الافغاني في كتابه عن مذهب الدهريين بذاك الكلام المسجدي الذي وسم به كفرهما بسمة من العار لن تمحى مدى الدهر. ولاسيما عصر الماسونية العمومية التي تناصرت وتشتّرت وحلفت بأنها ستدكّ اساس الكنيسة فلا تبقي منها حجراً على حجر

فلمّا توفي اكليمنضوس الثالث عشر ظنّت العشيرة انها ستبطل كلام المسيح القائل بانّ ابواب الجحيم لن تقوى على الصخرة البطرسية فاراد الله ان يظهر بأجلى بيان ان كنيسته اعلى مقاماً من ان يقتنها كفرهم او يصيبها سهمهم حتى ولو تزعزعت انهارت اكبر انصارها

وكان في ذلك العهد ملوك البوربون يتملكون على دول اوربة في فرنسة واسبانية وايطالية دون البورتغال لكنّ تدبير امورهم في ايدي وزراء كلهم مشايعون للماسونية

سرًّا يسعون في تقويض عروشهم لينصبوا فوقها رايات الكفر والالحاد. ومَن راجع تواريخهم في كتب المؤرخين الصادقين عرفَ من هم پومبال (Pombal) وشوازول (Choiseul) ودارندا (d'Aranda) وتانوتشي (Tanucci) فضلًا عن پومبادور (M^me de Pombadour) عشيقة ملك فرنسة وعدوَّة اليسوعيين الذين هتكوا سترها

وكان للملوك وقتئذٍ في انتخاب الاحبار الرومانيين حقوق منحها البابوات اسلافهم لخدم سابقة ادَّوها للكنيسة. فكان اوَّل ما اجمعوا الرأي ان يحرموا عددًا من الكرادلة لا يرونهم موافقين لسياستهم ولاسيما لتضحية الرهبانيَّة اليسوعيَّة عماد الدين حيثما حلَّت. فحصروا الانتخاب في ١٢ كرديناً لا فقط وكان عدد المنتخبين ٤٧. وبين هؤلاء الاثني عشر لم يكن الَّا ثلثة او اربعة يمكن تقليدهم الرئاسة على الكنيسة جمعاء. وكان الملوك يريدون انَّ البابا المنتخَب يَعِد سلفاً بانهُ سيلغي الرهبانيَّة اليسوعيَّة (١. فكانت هذه المطالب عثرةً في سبيل الكرادلة وتفرَّقت كلمتهم واحتجَّ كثيرون منهم بان اصحاب الاصوات ليسوا بحاصلين على الحرِّيَّة الكافية للانتخاب وبقي الامر دون وقوع اختيارهم على احد ثلاثة اشهر ونصف وتكفي بهِ دليلًا على حَرَج حالة الكرادلة الى ان وقع الاتفاق على احدهم لظنِّ الفرق كلِّها انهُ رجل معتدل يرضي الدول بلطفهِ دون ان يُلحق بالكنيسة ضررًا وهو الكردينال لورنزو غانغانلّي الذي تمَّ انتخابهُ في ١٨ أيار سنة ١٧٦٩ فدُعي باكليمنضوس الرابع عشر وكان سفراء الدول طلبوا اليهِ قبل الانتخاب ان يعد بالغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة فلم يتقيَّد بوعد الَّا انهُ صرَّح بسلطة الحبر الروماني على ان يأتي بامر مثل ذلك لو شاء. وهذا ممَّا لا ينكرهُ احد لكنَّ الملوك اعتبروا ذلك كموافقتهِ لرأيهم

من هو اكليمنضوس الرابع عشر — سيرتهُ

هو يوحنا ڤنسان انطون غنغانلّي المولود في غاية تشرين الاوَّل سنة ١٧٠٥ في

---

١) راجع تاريخ تينر (Theiner) ج ١ ص ١٩٨ وكتاب الاب دي رافينيان (de Ravignan: *Clément XIII et Clément XIV*) ج ١ : ٣٥٧ وكتاب كرتينو جولي Crétineau-Joly: *Clément XIV et les Jésuites*

قرية قريبة من ريميني حيث كان ابوهُ طبيباً فسلَّمهُ الى الآباء اليسوعيين ليتخرَّج في مدرستهم في تلك المدينة ثمَّ انتقل الشابّ الى مدينة اوربينو ولم يلبث ان طلب التَّرهّب في دير الآباء الفرنسيسيين في اواسط أيار سنة ١٧٢٤ فعُرف باسم لوران او لورنسيوس. وكان في رهبانيَّته مثال الورع والاجتهاد حتى انهُ برع في العلوم الدينيَّة وانتدبهُ رؤساؤهُ الى تعليم اللاهوت في عدَّة اديرة وكان يحبُّ العيشة المعتزلة وأبى مرَّتين رئاسة رهبانيَّته العموميَّة في السنتين ١٧٥٣ و ١٧٥٩

فشاع فضلهُ وبلغ صيتهُ مسامع الحبر الاعظم اكليمنضوس الثالث عشر فاراد ان ينصبهُ كردينالاً واذ استشار في امره الاب لوران رئتي رئيس الرهبانيَّة اليسوعي العامّ في رومية اثنى عليهِ الاب وصرَّح بتعلُّقهِ بالجمعيَّة اليسوعيَّة وهو احد تلامذتها(١ فخوَّلهُ البابا ذاك المنصب الجليل في ٢٤ ايلول سنة ١٧٥٩ وقال عنهُ «انهُ يسوعيّ بالروح وان لم يكن يسوعيًّا بالثوب (٢». لكنَّ امام الاحبار لحظ بعد ذلك انَّ الكردينال الجديد لا يوافقهُ في سياستهِ الخارجيَّة بازاء الدول فلم يقرّبهُ كثيرًا الى شخصهِ. فبقي خاملاً قليل النفوذ في ادارة الامور مدَّة حياة البابا المذكور

فلمَّا استلم ازمَّة الرئاسة البابويَّة لم يشأ ان يغيّر شيئاً من بساطة عيشهِ وسذاجتهِ الرهبانيَّة فكان لطيف الجانب دمث الاخلاق ليّن العريكة معتدل السيرة في تدبير الامور فلو تُرك لشأنهِ لَعُدَّ من افضل احبار الكنيسة. ولم يُظهر في معاملاتهِ للرهبانيَّة اليسوعيَّة شيئاً مما كان ينتظرهُ اعداؤها بل منح مرسليها بعد ثلثة اشهر من تنصيبهِ في ١٢ تموز ١٧٦٩ غفارين ونعماً روحيَّة لسبع سنوات ما يدلُّ على انهُ لم يفكّر في أذاها بل كان يجلّها ويعتبرها . وقد افتتح منشورهُ ذلك بما تعريبهُ: «انّا نجود بل الرضى بكنوز الخيرات السماويَّة على الذين نعهدهم مهتمين غاية الاهتمام بخلاص الانفس وباضرام المحبة نحو الله والقريب ويقاسون المشقَّات حبًّا بخير الدين وحيث

١) اطلب تاريخ كُردارا (Cordara: *Mémoires, p.* 33)

٢) ومما يخبر عنهُ في زمن تلميذه اللاهوت في رومية انهُ دُعي الى مفاتحة الاكليريكم القديس اغناطيوس منشئ الرهبانيَّة اليسوعيَّة في ديرهم الكبير فقام يخطب في مديح ابناء القديس مثنيًا على علمائهم في كلّ الفنون وسائر العلوم . ومما قالهُ مخاطبًا اصحاب الدعوة : «كيفما حوَّلت انظاري والى اي فرع من العلوم التفتُّ لاقف على مكنوناتهِ فاني ارى آباء جمعيتكم قد نالوا فيهِ الشهرة والسبق»

انا نشمل بين هؤلاء الفعلة الغير الذين يفلحون في كرم الربّ رهبان الطغمة اليسوعيّة قائلا نريد حقيقةً ان تثمر تقوى هؤلاء الرهبان العظيمة وتزداد بواسطة المواهب الروحانيّة »

لكنّ هذه السياسة الداخليّة لم تكن لترضي الدول البوربونيّة واشياعَ المالونيّة فتألّبوا على قداسته تارةً بالوعد بان يردُّوا للكرسيّ الرسوليّ ما سلبوهُ من املاكه وتارةً بالوعيد بان يقطعوا الصلات مع رئيس الكنيسة الكاثوليكيّة فكان سفراء الملوك يتردّدون عليه في كلّ حين ليقنعوهُ بالغاء رهبانيّة القديس اغناطيوس فيردُّهم الحبر الاعظم حيناً باللطف والمجاملة وحيناً بالتأجيل والتسويف وثبت على خطّته هذه سنتين كاملتين لا يُقدم على امر ولا يبتّ عهداً بينما كان كادلة الدول وسفراؤها يضايقونهُ ويحرجونهُ حتى اثّرت معاملتهم في صحته فظنّ انهُ اذا برَّد الرهبانيّة اليسوعيّة عن بعض امتيازاتها وعاملها بالعُنف والشدّة يكتفي الملوك بذلك فعزل اليسوعيين عن تدبير المدرسة اليونانيّة ثمّ اقفل بعض مدارسهم وانتزع من يدهم مكتب الايرلنديين وامر بمحاكمتهم بخصوص ماليّة بعض اديرتهم وحكم بتغريق شمل مبتدئيهم ومنع كهنتهم من الوعظ في كنائس رومية

فكانت كلّ هذه التصرُّفات العنيفة تزيد في طمع الدول بادراك غايتهم بدلاً من ان تُخمد لظى بغضهم فيستنتجون منها انهم بمضاعفة هجومهم سينالون ما يشتهون. فشدّدوا الاوامر على سفرائهم وأغروهم بنائب المسيح كيلا يدعوا لهُ راحةً الى ان يفوزوا بمبتغاهم. وقد بلغت قحة سفير اسبانية مونينيو الى ان خاطب الحبر الاعظم بكل جفاء وعنف فاجابهُ البابا بهذه الكلمة الدالّة على ما كان يتوقعهُ من الشرور بالغاء الرهبانيّة اليسوعيّة: « انكم لا تطلبون الغاء اليسوعيين الّا لتستعبدوا الكنيسة من بعدهم »

ومرّت على اكليمنضوس الرابع عشر السنة الثالثة من حبريّته وهو يناضل ويدافع رجاء ان تنقلب الاحوال على الكرسيّ الرسولي او على الدول فينجو من تلك الضائقة ويُرخي خناقهُ الّا انّ الملوك ووزراءهم رأوا من شرفهم ان يفوزوا في تلك المنازعات بشيخ الباباويكان مدّعين انّ لا سلام للممالك الّا بتلاشي الرهبانيّة اليسوعيّة ومن ثمّ تهدّدوهُ بقطع العلاقات مع الكرسيّ الرسولي فكتب شوازول

باسم ملك فرنسة لسفيره في رومية يفسح للبابا بشهرين ليقضي على اليسوعيين ، لانهُ اذا فات هذا الاجل لا يعود ممكناً ان يُصَدّ ملوك بوربون عن قطع كلّ علاقة مع حبر الكنيسة» ومثلهُ فعل مفوّض ملك اسبانية فلوريدا بلنكا . وفي تلك الاثناء كتب دالمبار زعيم الملحدين كفولتير وروسو الى فردريك الثاني ملك بروسية : « انّ البابا الفرنسيسي يظهر صعوبة كلّية في امر الغاء الرهبانيّة اليسوعيّة ولا عجب في ذلك لانّ مثلّ الذين يطلبون الى البابا اعدام هؤلاء الجند البواسل مَثَلُ من يطلب الى جلالتك ان تصرف فرقة حرسك الملكي »

الغاء الرهبانيّة اليسوعيّة

على انّ هذه الاحاجات المتواصلة والتهديدات الجديدة اضعفت عزيمة الاب الاقدس فرأى الكنيسة بين شرّين لا بُدّ لهُ من اختيار احدهما فتفضّل تضحية الرهبانيّة اليسوعيّة على قطع العلاقات الدوليّة مع الكرسيّ الرسولي لاسيما وقد رأى ملكة النمسة ماري تريزا بعد دفاعها عن اليسوعيين اضطرّت الى مواقفة ملوك بوربون فاخذ يبحث عن الطريقة ليقضي بهذا الامر دون ان يهيج الكثلكة . كيف لا وكان لليسوعيين في ذاك الوقت من الاعتبار وعظم الشأن ما تشهد عليهِ تواريخ كلّ البلاد

ففي اوائل السنة ١٧٧٣ وهي الرابعة لاكليمنضوس الرابع عشر اخذ يُعدّ البراءة القاضية بالغاء طغمة يسوع فجمع من تاريخ الرهبنة ما استطاع من شكايات اعدائها والمنازعات الجارية بسببها فذكرها لا بصفة قاضٍ على صحّتها او فسادها وعلى غثّها او سمينها مع علمهِ اليقين بدفاع ١٩ حبرًا رومانيًا عن ابناء القديس اغناطيوس لكن بعجز دار لما حصل بسببها من الخلاف . وصدّر ذلك بمقدّمة مطوّلة يبيّن فيها انّ للاحبار الرومانيين السلطة على الغاء الرهبانيّات كما بإمكانهم انشاؤها ويضرب على هذه الحقيقة عدّة شواهد في فئات رهبانيّة الغاها الكرسيّ الرسولي بمجرّد امرهِ دون معارضة وختم ذلك بحكمهِ الفصل بالغاء الرهبانيّة جمعاء

وقد طال الزمان على انشاء هذه البراءة ستّة اشهر كاملة يحرّرها ابو المؤمنين ثمّ يعود فيحرّرها ويصلحها ويغيّرها وهو يريد ان يُسكت صوتَ ضميرهِ ويتخلّص من عَنَت الدول التي لم تزل تضغط عليهِ ضغطاً مرّاً وتستحثّهُ على ابراز حكمهِ فيقدّم

رجلاً ويؤخر أخرى كمن يشي مرغوماً الى هاوية يخاف السقوط في اعماقها

واذ تحقق في اواسط تموز انهُ لا مناص من تضحية الرهبانيَّة أقدم على العمل فأمضى حكمهُ في ٢٠ تموز ١٧٧٣ لا على صورة منشور (Bulle) كما كان ينتظر الملوك وهي صورة افخم واجل يكون مدارُها على المراسيم الخطيرة السموميَّة بل على صورة براءة (Bref) وهي صورة ادنى مدارها على الامور الخصوصيَّة القابلة الابرام والنقض . وبدء البراءة بهذه الالفاظ Dominus ac Redemptor

وكنَّا نودّ ان نعرّب هذه البراءة تعريباً متقناً فننشرها في المشرق لولا طولها البالغ نحو عشرين صفحة من صفحات المجلَّة . وفي مضمونها ما يدلُّ على رغبة الحبر الاعظم في اعادة السلام والمحبَّة للعالم الكاثوليكيّ وذلك «حتى لو اقتضى الامر بنقض وملاشاة اعزّ ما هو لديهِ وبفقدان ما سيوليهِ حزناً مرًّا واسفاً شديداً» وكفى بقولهِ هذا دلالةً على الغائهِ الرهبانيَّة مرغوماً . وهذا ما صرّح بهِ القديس الفونس ليغوري اكبر اساقفة عصرهِ ليمذرهُ قائلاً : «مسكين هو البابا فيا تُرى أكان يستطيع في تلك الاحوال الحرجة ان يقاوم الحاجات الدول الطالبة الغاء رهبانيَّة يسوع» . ومثلهُ قال المؤرخ اليسوعيّ الشهير الاب كوردارا «ان اكليمنضوس الرابع عشر رأى بعد حيرتهِ وتردّدهِ الطويل انهُ من الواجب عليهِ الغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة . ولعلّي انا الذي أحبُّ طغمتي اشدّ الحبّ كنتُ حذوتُ حذوهُ لو كنتُ في مقامهِ . فانت الرهبانيَّة المنشأة والمثبتة لخير الكنيسة فقبلت الموت لتحصل الكنيسة على ذلك الخير وحقيقةً لا أدري أكان يمكنها ان تنال شرفاً اعظم من هذه الخاتمة الجليلة لحياتها»

لواحق حكم البابا بالغاء الرهبانيَّة

كانت الرهبانيَّة اليسوعيَّة قد عانت من الشدائد والآلام من قبل اعداء الكنيسة ما أذاق ابناءها الأمرّين لكنها صبرت على كل ذلك صبراً جميلاً يسندها في اوجاعها نظرُها الى صليب الربّ يسوع المنسوبة اليهِ . ومع هذا كانت بين آلامها فرحةً كرسل المسيح (اعمال ٥ : ٤١) : «الذين كانوا فرحين بانهم حُسبوا مستأهلين ان يُهانوا لاجل اسم يسوع» لكنَّ هذه الضربة الاخيرة من قبل رئيسهم الاسمى والاعزّ كانت اوجعَ وامرَّ من سواها فقبلوها من يدهِ صامتين قانتين ردلُوا بطاعتهم العجيبة وهم ينيفون وقتئذٍ على ٢٢٬٠٠٠ راهب على انَّهم يرضون بالموت من يد قائدهم ان اصاب

في موتهم الخير المأمول. وقد حُكم عليهم لا في محكمة حيث يتمكّنون من الدفاع عن نفسهم بل دون الرخصة بان يكتبوا شيئاً في هذه القضية. فماتوا مسلّمين امرهم الى الله فاحص القلوب مصرّحين باتهم ابرئا من الشكاوى الموجّهة اليهم

وبعد الاعلان بالبراءة أُقفلت اديرتهم واستُصفيت اموالهم وضُبطت مكاتبهم واوراقهم وتحريراتهم الخصوصيّة التي بعد فحصها المدقّق وُجدت كلها منزّهة عن كلّ ما يستوجب ملاماً وتفرّق رهبانهم فاصبح الكهنة منهم والمتّسمون بالدرجات الاكليريكية تحت رعاية اساقفتهم وأُعيد الآخرون الى مواطنهم واهلهم. أمّا الرئيس العام الاب لوران رتشي ومدبّروهُ فقادوهم الى حصن سنت انجلو فسكنوا في قلالي منفردة واستنطقوهم مراراً فلم يقفوا على امرٍ ما يَشينهم ويشين رهبانيّتهم بل استشهدوا الله على صلاحهم وصلاح طلعتهم. ومات الاب رتشي في تلك الاثناء. مكرّماً عند قبوله اسرار الكنيسة بازاء الدَّيان الذي كان على وشك الظهور امامهُ عن حسن سلوك رهبانيّته دون ان تحيد عن قوانينها ذرّةً. وهو الذي كان اجاب الحكومة الفرنسويّة سابقاً لمّا ارادت ان تغيّر شيئاً من رسوم القديس اغناطيوس بكلمة تاريخيّة تتناقلها كلّ التآليف «فلتكن كما هي او لا تكن» (Sint ut sunt aut non sint). وكانت وفاتهُ في ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٧٧٥ بملء الهدوء والسلام

وكان سبقهُ الى الابديّة الحبر الاعظم اكليمنضوس الرابع عشر ولم يعش بعد اعلانه بالبراءة الملقية للرهبانيّة اليسوعيّة الّا اربعة عشر شهراً قضاها بالقلق والجزع واضطراب العقل وهو يردّد قولهُ: قد فعلتُ مكرهاً (compulsus feci) فمات في ٢٢ ايلول ١٧٧٤ وقد انعم الله عليه عند وفاته بان حضر لمساعدته عند الموت القديس الفونس دي ليغوري فريد عصره علماً وقداسةً فاعدّهُ لاستقبال خالقه. وممّا يُخبر انهُ قبل وفاته سلّم الى مرشده الروحي رقيماً استدرك فيه ما كتبهُ في براءته واوصاهُ بان يسلّمهُ لخلفه. وقد طُبع الرقيم المذكور لاوّل مرّة في سويسرة في مدينة زوريخ سنة ١٧٨٩ طبعهُ المؤرخ بيار فيليب وُلف ثمّ تكرّر طبعهُ دون ان يتكرّه البابا بيوس السادس خلف اكليمنضوس

وكان البابا موعوداً بان يُعاد الصلح للكنيسة بالغاء الرهبانيّة اليسوعيّة وتعيش الدول بالسلام مع الكرسيّ الرسولي فكانت تلك المواعيد عرقوبيّة. وانّما جاهر

فقط اعداء الكنيسة بفرحهم لسقوط فرقة يسوع التي كانت اكبر حاجز يمنعهم عن تنفيذ مآربهم الباطلة

بيد انهم كانوا موقنين انَّ البابا يقبح اعمال اليسوعيين في براءته ويفتي ببأسهم وسوء تعاليمهم فخاب أمالهم . وقد اقرَّ بذلك المؤرخ البروتستاني بشلّ قائلًا : « انَّ البراءة لا تقضي على تعاليم اليسوعيين ولا على عوائدهم ولا على تهذيباتهم انَّما الاسباب الوحيدة المرقومة فيها التي اوجبت الغاء طائفتهم هي الشكايات الصادرة بحقهم من الدول . وقد برَّر البابا الطريقة التي سلكها باستنادهِ الى امثلة اسلافهِ الذين ألغوا بعض الرهبانيَّات ليوافقوا مقتضيات الرأي العام »

وذلك كان السبب من نفور مجالس الندوة في فرنسة وعدم رضى اصحابها بتسجيل براءة الحبر الاعظم الملغية للرهبنة بل منعت من نشرها واستقبحت اعتدال منطوقها اذ ان البابا على قولهم « امر بالغاء الرهبانيَّة دون ان يقضي على تعاليمها ولا على اعمالها » وفي هذا دليل قاطع على انَّ اكليمنضوس الرابع عشر لم يحكم على اليسوعيين بل ابطل رهبانيَّتهم لمجرَّد مقتضى الظروف والاحوال

امَّا ما حدث بعد الغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة من الفتن والثورات وانقلاب دول البوربون ظهرًا لبطن في الثورة الفرنسويَّة الكبرى واضطهاد الحبر الاعظم بيوس السادس وخلفهِ بيوس السابع فكلُّ ذلك كان من اخصّ اسبابهِ نفي طغمة يسوع التي لم تعد الشبيبة في معظم البلاد تتخرَّج في مدارسها . فتفاقم الصدع واستشرى الفساد

ودونك ما كتبهُ الى البابا اكليمنضوس الرابع عشر رئيس اساقفة باريس بطل الدين كريستوف دي بومنت بعد اعلانهِ البراءة بزمن قليل :

أيُّها الاب الاقدس انَّ السلام الذي يمدنا به اعداء الدين بالغاء جمعيَّة يسوع ليس هو السلام الذي اتى به السيد المسيح وانَّما هو سلام كاذب سلام الخبث والمكر والخلاعة الذي قال فيه ارميا النبي (٦ : ١٤) : ٥ يصرخ الاشرار : السلام السلام وليس سلام » هو السلام الذي وذلهُ السيد المسيح وعارضتهُ جمعيَّة يسوع وتفانت في مناصبتهِ حتَّى الموت ولذلك تقوم عليها الاشرار فبسقوطها تنال الكنيسة حقًّا مرَّة »

ومن ثمَّ ما كاد بيوس السادس يخلف اكليمنضوس حتى فكَّر في ردّ الرهبنة الى مقامها واستشار في ذلك الكرادلة فسمع غير واحد منهم يحرّضهُ على تحقيق نيَّتهِ

واخصّهم الكردينال ليونردو انطونلّي الذي رافق بعد ذلك بيوس السابع وحُبس معهُ في فونتينبلو فقال :

« انّ ما فعلهُ سلفُكَ قد جرى بضغط الملوك على رئيس الكنيسة ومن ثمَّ لا قوّة لبراءته التي نشرها مرغوماً دون حرّيّة كافية وانا أعُدُّ الرهبانية اليسوعيّة غير ملغاة فيكفي قداستك ان تُعلن بالامر . . . فلسوء انّ رهبانيّة يسوع افضل جماعة في عصرنا الشرّير ولو عُدمت لوجب إحياؤها . ونحن اليوم لخدمة الكنيسة احوجُ اليها من يوم انشأها اقديس اغناطيوس فاتحا اذ ذاك ناصيت البدع البروتستانيّة وكسبت شكر الكنيسة المخلّد اما اليوم وقد تفاقم شرّ اعداء الدين فاننا لا نستغني عنها لتقوم في وجه الملحدين وسائر الاشرار »

فكان جواب الحبر الاعظم لهذا التصريح بقوله :

« انّ إلغاء الرهبانيّة اليسوعيّة انّما كان سرّاً من الجور والطغيان وانّ رغبتي الشديدة أن أعيدها الى الحياة »

لكنّ السرّ وموتهُ حالا دون رغائبهِ . ومما كتبهُ في ذلك المؤرخ البروتستانيّ الالماني رَنك (Ranke) في تاريخ البابويّة (ج ٤ ص ٥٠٠) :

« انّ الغاء الرهبانيّة اليسوعيّة قوّض اركان العالم الكاثوليكي كله اذ دهمتهُ تلك الضربة القاضية من كَثَب دون ان يستعدّ للاقاتها لاهتمام اليسوعيين بتهذيب الشيبة في كلّ البلاد فبهلاكهم اصبحت الناشئة عرضاً لكل المفاسد وترعزعت دعائم المجتمع الانساني »

ولما أرسل الكردينال باكّا الى المانية بصفة قاصد رسوليّ كتب الى الحبر الاعظم بيوس السابع ما تعريبهُ :

« منذ الغاء اليسوعيين فقدَ الالمان اكرامهم القديم لرؤسائهم الروحيين وللكرسيّ الرسولي لان اولئك الرهبان كانوا يحدّبون الاحداث في مدارسهم العديدة فيضرون بذلك حدوداً للكفر ولكن منذ سقوط رهبانيّتهم انفجر السدّ وطغى طوفان الكفر وانتشرت الجمعيّات السرية (الفرمسون) والمطبوعات الفاسدة فأصيبت الكنيسة بنكبة عظيمة »

ومثلهُ قال البرنس دي ليني سنة ١٨٠٨ :

« انّ الشرور العظيمة التي نراها في زماننا من نبذ الطاعة للرؤساء ومن روح الخلاعة والفساد لما كانت تسود فتهدّد بسيلها الجارف كلّ ممالك اوربّة لو بقيت في الحياة الرهبانيّة اليسوعيّة »

فاتفاق كلّ هؤلاء على تشخيص الداء الذي اصاب المجتمع الانساني لأدلّ

دليل على ما ابقتهُ الرهبانيَّة اليسوعيَّة في القلوب من الاعتبار والاكرام وعلى انَّ الغاءها لم يكن عن ذنب اقترفتهُ بل عالهُ بغضُ الاشرار والملحدين . ولذلك سمح البابا اكليمنضوس عينهُ سرًّا للملكة روسيَّة كاترين الثانية بان تبقي اليسوعيين في مملكتها . ثم كرَّر تلك الاجازة خلفهُ بيوس السادس . ثمَّ قام بيوس السابع وما كاد ينجو من مخالب نابوليون الاوَّل وسجنهِ ويعود الى عاصمتهِ رومية ظافرًا حتى بعث الرهبانيَّة اليسوعيَّة من رقدتها في العالم كلهِ وردَّ لها كلَّ خواصها وانعاماتها ورسومها كما كانت قبل الغائها وذلك في ٨ آب من السنة ١٨١٤ وقد خصَّت مجلَّة المشرق (١٧ [١٩١٤]: ٤٨١—٤٩٥) مقالةً نفيسة لتذكار سنة المئة لذلك الانبعاث دبَّجها قلم رصيفنا المرحوم الاب لويس رنوڤال فللمراجع

ويكفينا في الختام ان نستحلف كلَّ قرَّائنا ونسألهم أيرون في الغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة بمساعي الملحدين واعداء الدين والتمدُّن الصحيح عارًا ما لحق بها كما زعم كاتب الحريَّة واشياع الماسونيَّة او ليس الاولى بابناء اغناطيوس ان يفتخروا بذلك المصاب وان يثني عليهم كلُّ ذوي الصلاح والبرّ كما يُثنَى على من سقطوا في ساحة الشرف . هذا ومعاذ الله ان ننسب الينا فخرًا ما وانَّما المجد يحقُّ فقط لذاك الذي يحطّ ويرفع ويُميت ويحيي تمجَّد اسمهُ الى ابد الدهور

ملحق

﴿الجنون فنون﴾ انَّ لجبران التويني في كتاباته البذيَّة عن اليسوعيين طرائق من الجهل والغباوة توقعنا في الريب عن صحَّة عقلهِ فلا يقرأها عاقل الَّا يقول «الجنون فنون» فانَّهُ كتب عن الاب غوري ولاهوتهِ الادبي الذي هو في موضع الاعجاب لكل من يدرسهُ كاعمى يكتب عن الالوان وهو لا يعرف لا من هو الاب غوري ولا ما كتب ولا يحسن التمييز بين الالف والباء من اللاهوت الادبيّ وبدلًا من ان ينقل نصوصهُ من الطبعة البيروتيَّة التي عرَّبها الطيِّب الذكر المطران يوحنا حبيب فنشرها في المطبعة الارثونيَّة في مجلَّدين نقل ما نقل عن كتب الترمسون (وكلُّ طائر يأوي الى جنسهِ) الذين شوَّهوا كتابات الاب غوري ونسبوا اليهِ تعاليم فاسدة لم تخطر على بال احد من الكاثوليك فلم يستحي ان يعرض على اهل بلادنا مثل هذه البضاعة

الكاسدة المحيكة بلُحتها وسداها في المعامل الماسونيَّة — واغربُ من ذلك « القسم اليسوعي » الذي كلّ حرفٍ من حروفهِ كذبٌ وتلفيق كأنَّ اليسوعيين يجزون نذورهم بالخفية مثل الفرمسون وليس في كنائسهم امام جمهور المؤمنين وشهود علمانيين يحضرون رسميًّا تلك الحفلة . فيا لله حتَّى متى والى متى يكذب الفرمسون وكيف يعميهم الهوى فلا يرون انَّ العموم يسخرون منهم ويلعنون شيعتهم

المقامة الاورشليمية

لاحد تلامذة البيان في كليتنا

توطئة

إذ كنتُ في سنتي ١٨٨٩ و ١٨٩٠ ادرّس البيان والبلاغة في كليّة القديس يوسف كان في حلقة تلاميذي المسيحيُّ والمسلم والدرزي . ومعظمهم إن لم اقل كلّهم كانوا عاكفين على درس اللغة العربية مجتهدين في اكتساب آدابها . وخدمةً لهم اخترتُ وجمعتُ « رنّات المثالث والمثاني في روايات الاغاني لأبي الفرج الاصبهاني » . وذلك رغبةً في تمرينهم على سكب عباراتهم في قوالب بليغة

وكنتُ أحرص على صيانة ما يكتبونه من رواية او خطبة او مقابلة او انتقاد او قصيدة او مقالة . فابرز منهم كنت أطلعه على ما حسُن او نقص في ما كتبهُ فيصلحهُ ثمَّ أدّخر لديَّ في حفظةٍ ما يُفظهُ . فجمعتُ من هذه الطُّرَف عددًا ليس بيسير . وأريتُ بعضها تلاميذي بعد خروجهم من الكلية . فسرّوا ايَّ سرور اذ رأوا ما كتبوه في سني حداثتهم وصبام

وقد رأيت اليوم بمناسبة عيد انتقال مريم العذراء الى السماء ان انشر في المشرق انشاء لاحدهم عنوانه «المقامة الاورشليمية» وكان من نُجُب الطلّاب الذين يُسرّ بهم اساتذتهم وتفتخر بهم مدرستهم وقد اثبتنا كتابهُ بحرفهِ الواحد . وكان موضوع المقامة ما يُروى عن ديونيسيوس الاريوباجيّ تلميذ بولس الرسول انهُ اجتمع بمريم العذراء قبل انتقالها الى السماء فوصف ما شاهدهُ من بدائع صفاتها وكمالها

الاب انطون صالحاني

روى ديونيسيوسُ الأريوباجيُّ قال : ولمَّا أماط لي الحقُّ نقابَهُ ، ووجتُ من الهُدى أبوابهُ ، نزَعتُ الى أورشليم مربع البصائر ، ومتنفَّس الخواطر ، فطفقت أحدِّث النفس بالإحجام ، وهي تحدِّثني بالإقدام ، إلى ان حسرتُ عن ساقي ريدي ، وقلتُ : القدسَ يا ناقَ سيري وَخِدي ، ... فسرتُ في يوم جلابيبُ غيومهِ رِوَاق ، وأردية نسيمهِ رقاق ، وما زلتُ أَصِلُ السيرَ بالسُّرى ، حتَّى علوتُ عند الطفل إحدى الذُّرى ، فألمَّتُ هنالك السفر ، وأنختُ رحلي حتى بدا الصبحُ وانفجر ، فانشقَّ بطلعتهِ ستر الظلام ، عن بلدةٍ كأنها صورةُ جنَّةِ الخلدِ منقوشةٌ في عرض الأرض . فانبهرتُ بها مقلتي ، وتطلَّعتُ واذا هي أورشليم بغيتي ومنيتي ، فارتكض فؤادي جذلًا ، وطرتُ اغتباطًا وفرحًا ، وكان قد تعطَّر الأفقُ بما يرُ باخزام والشيح ، من خطراتِ الريح ، وغرَّد العندليبُ على الورد ، فأذكرني أنغام داود ، وأجهشتُ للبكاء حنيناً ، ولبثت أتوسَّمها حيناً ، ثمَّ أطلقتُ الخاطر إطلاق الجواد ، بين تلك الربى وهاتيك الوهاد ، وشرعتُ أقول :

لكِ اللهُ يا دار القيامةِ والنَّصر ... سلامٌ عليكِ في العشيَّة والفجرِ
حَدَوتُ اليكِ الرَّكبَ حدوَ متيَّمٍ ... وُلقتُ اليكِ توقَ ظمْيٍ إلى الغمرِ
فها اليومَ إني نلتُ ما كنتُ اشتهي ... سعدتُ برؤاكِ فبشرٌ على بشرِ

ثمَّ أعددتُ النفس وهيَّأتُ القلبَ وأخفضتُ من جناح الخضوع ، وتردَّيتُ لباس الرهبة والخشوع ، وقمت أَصِلُ الإسآدَ بالتأويب ، وأُراوح بين الإهذاب والتقريب ، حتى أفضت رُحلتي اليها فانخْتُ ركبيَ فيها ، فأخذتُ أتعهَّدُ معاهدها المألوفة ، وأشهدُ مشاهدها الموصوفة ، بحيث لم أدعْ حيًّا ولا ناديًا ، ولا جبلًا ولا واديًا ، الَّا سعيتُ اليه على قدمي ، وخاطرتُ في قصده بدمي ، حتى انتهيتُ الى حيث كان الرُّسل مجتمعين ، فدخلتُ وحيَّتُ باسم يسوع ربِّ العالمين ، وانضويتُ الى حزبهم ، وشددتُ يديَّ بغرزهم ، فلاقوني بالرُّحب والسَّعة ، واستقبلوني بالأُنس والدَّعة ، وهم قد جلسوا الى هيفاء غضَّة ، كأنها برج فضَّة ، وهي تجلو أبصارهم بكلام لو قُرِيَ على الحجارة لانفجرَتْ ، وتشحذ أذهانهم بحكَم لو تُليَتْ على النجوم لانثَرَتْ .

فلمَّا صرتُ في بهرةِ النادي ، أخذتُ بمجامع فؤادي ، وسرحتُ طَرْف المقلة ، في روضةِ تلك الطلعة ، فوجدتُ أنَّ الغزلَ وإن كان أرقَّ من الصبا ، وأحنَّ من عودِ

الصبا ، كليلٌ عن حسنها الرائع ، وبهائها الساطع ، إذ انها مفردةٌ بصفاتها ، لا تُشبَّه إلّا بذاتها ، فكأنّي كنتُ أرى عن يمينها عين الكمال ، وعن يسارها ذاتَ الجمال

تهادى عليها الحُليُ والنورُ زانها وما كوكبُ الزرقا عليها تقدّما

فاستنبأتُ خبرَها ، واستعلمتُ مَن هيَهْ ، فقيل إنها أمُّ يسوعَ الإلهِ ، ووالدةُ مَن لا إله سواهُ ، فانطرحتُ أتيمّنُ بالسجود لها ، وكدتُ لولا نور الحقّ لستأنيها ، فلبثتُ حينئذٍ كالولهان ، لا أهتدي الى تحيّتها بتبيان ، وما زلتُ كلَّ تلك البرهة ، أجدُ في حِكَمها أطربَ نزهة ، وأطيبَ نكهة ، حتى أزف الترحال ، وآن شدُّ الرحال ، فقمتُ للتوديع وأنا أتمنّى ، بمحاسن تلك البتولة الحسنا ، :

ألا لا تلوموني اذا كنتُ مُغرَما فلستُ أرى عشقي لمريمَ مَغرَما

هويتُ بتولًا قد تأرّجَ طيرُها وليس هيامي في هواها توهّما

بها قد حظينا بالخلاص منَ الشقا فكانت لإنسانا الى الله سُلّما

وخاضتْ فجاجَ الأرض وهي نزيهةٌ وصانَ معاليها العليُّ تحلُّما

فطافتْ على وجهِ النهارِ كريمةً كما طافَ قِدماً فُلكُ نوحٍ مُكرّما

ثمّ قمتُ وانطرحتُ على قدميها متيّمناً ، وقلتُ لها بالمهابة مؤمّناً :

أيا ظبيةَ العلياء فيكِ تنزّلي لدى رُسُلٍ نالوا بربّكِ مَغنَما

أقولُ وصدقُ الحبِّ طرسُ مقالتي سلامٌ على عَلياكِ يا نجمةَ السما

عوامِلُ حمدٍ حرّكتني فعُرْيَ م الفؤادُ عليكِ دون أن يتقسّما

أتيتُ بيومٍ قد نزعتُ لصبحهِ شهوداً وأياماً وحولًا محرّما

فيا ليتني أُعطى نشيداً من العُلى لأنشدُ حسناكِ بحقٍّ وأعظما

إليكِ أتيتُ اليومَ أسألُ عونَكِ إذا ما أبَنْتُكِ الديّانُ للدينِ أقدَما

فأهديكِ مني الروحَ والجسمَ والحيا ةَ فارعي وكوني عندَ ربّةَ الحمى

قلتُ هذا وانصرفتُ بيمن بركاتها الى حيثُ أتيت ، وكان ذلك المشهدُ من أعجب ما رأيت ، فعدتُ إلى راحلتي والشمسُ في برج الأسد ، وفارقتُ أورشليم فراق الروح للجسد ، وأخذت أسري وأسيرُ ، وقلبي فيها رهينٌ وأسيرُ ، حتى انتهيتُ الى آخر مَطَلٍّ عليها ، فاغرورقتْ عيناي وقلتُ أبكيها :

ألا يا نسيمَ الصبحِ خُضْ جوَى الصدرِ وبلّغ ديارَ القدسِ ما ذقتُ مِلْ الهجرِ

وحيّ صحاباً قد عهدتهم بها ويا ليتَ لي أنّ أبتني عندهم قبري
ثمّ ودّعتها بعين تَترى ، وكبدٍ حرّى ، ورُحتُ أسوقُ الركب في نَشدِ مريم العذرا ، والله فيما كنتُ أقولُ أدرى ، إلى ان بلغتُ أهلي وأوطاني ، فكنتُ بها بحتي . وجثاني ، وفي القدس ذهني وجَناني ، فما زلتُ أروحُ وأغتدي ، وبمريمَ والرُسل الهجُ واقتدي ، حتى أمسيتُ ذات ليلةٍ وأنا أساورُ فيها الهموم ، وأسامرُ الكواكب والنجوم ، واذا بالليل قد خلع ثيابهُ ، وبالصبح قد حدرَ نقابهُ ، تتطلّعتُ واذا بذات جمال ، كلّلها الحسنُ بتاج الكمال ، عذراء هيفاء ، قد تجلّت في ذروةِ الزرقاء ، كأنّها الشمسُ تحت الغمام ، أو البدرُ في ليل التمام ، تتصعّدُ والنجومُ تتبعُها ، وتسحبُ الذيل والملائكُ ترفعها ، بين غمائم نورٍ ، وأكاليل زهورٍ ، وأناشيد مجدٍ وسرور ، حتى ولجتْ كبدَ السماء إلى دارِ السعادةِ والحبور ، فرأيتُ إذ ذاك في منتصف الجوّ ، كلمات نورٍ وأحرُفَ ضوءٍ ، فقرأتها واذا برَدّاها كان هذا : هي مريم العذراء ، أمّ مليك الارض والسماء ، . فلبثتُ من ساعتي في غشيةٍ وذهول ، لا أدري من الاغتباط ماذا أقول ، ثمّ قمتُ أحمدُ اللهُ لرؤيةٍ والدتهِ طريقَ السماء منتهجةً ، ورحتُ أنشدُ طرباً وبهجةً :

لهي مريمٌ حلّتْ ذُرى المجدِ والقدرِ فيا أرضُ ميدي واكتسي حُلّةَ الفخرِ
لقد نلتِ عند الله خيرَ وسيلةٍ تخفّفُ عنكِ السُخطَ في موقفِ الحشرِ
فحيّي السّما فيها وقولي لأهلها « ألا مَجدوها إنّها ربّةُ النصرِ »

لبنان الكبير ومتصرفية لبنان القديمة

بقلم المحقّق المدقّق الشيخ سليم خطّار الدحداح

اهدانيها احدهم كريسة مطبوعة لايتجاوز عدد صفحاتها ١٢ صفيحة وهي معنونة هكذا :

لائحة الملحقين بلبنان الصغير

الى المراجع الكبرى — الى المفوضية العليا — الى رئاسة مجلس الاتحاد السوري — الى الرأي العام

ولا شيء يدل على محلّ طبعها ولا على تاريخه

فبعد ان تصفَّحتها وجدتُ خلاصتها ان اصحاب التواقيع المذكورة اسماؤهم في آخر الكريسة يرفضون اندماج ولاية بيروت في حكومة لبنان الكبير ويطلبون سَلْخها عنه وضمّها الى الوحدة السوريّة . واهمّ ما جاء في اعتراضاتهم وحججهم التي تؤيد دعواهم ثلاثة امور :

١ً استغرابهم من ضمّ بلدانهم الى متصرفية — وكانت في الاصل تؤلف ولايةً

٢ً كونهم هم اكثر عددًا من ابناء متصرفية لبنان القديمة

٣ً كون الداخلية ليس لها موانئ ولا يمكنها الاستغناء عن بيروت التي هي ميناء سوريا

١ انتفاء مجرّيم الاولى : استغرابهم لحاقهم وولاية بيروت بمتصرفية لبنانه

اما كونهم يرفضون الانضمام الى لبنان الكبير ويطلبون الحاقهم بالوحدة السورية فهذا امرٌ لا شأن لهم به اذ لم يعُدْ باستطاعتهم تغيير ما قرّرته الدولة الفرنسوية صاحبة سلطة الانتداب ووكيلة جمعية الامم في سوريا ولبنان بناء على رغبة اكثرية الشعب الساحقة . فهذا الاعتراض — الذي يتقدم الآن بعد اوانه — ومن اناسٍ لا صلاحية لهم بتقديمه — لا يُلتفَت اليه سيَّما وان اكثرهم لم يفطنوا لإبراز هذا الاعتراض الّا بعد فصلهم من الوظائف التي كانوا متربّعين بها وكثيرًا ما توسّلوا بها لاستتراف مال الشعب . واما براهينهم واحتجاجاتهم فانها ليست مما تثبت على محكّ الانتقاد واليك البرهان :

أذهلنا استغرابُهم إلحاق ولايتهم بمتصرفية . فيكرّرون ذلك كانهم يقصدون تحقير متصرفية لبنان القديمة والحال ان مَن لهُ ادنى المام بالتاريخ يعرف بانه لمّا تشكلت نظامات سنة ١٨٦٠ وسُمّيت حكومة لبنان باسم متصرفية لم تكن هذه التسمية موجودة في تقسيمات تركية الادارية . فان هذه التقسيمات ظلّت في كل السلطنة العثمانية الى سنة ١٢٨١ الموافقة سنة ١٨٦٤ على ثلاث درجات اعني بها : العَمَل وعليها العامل والمُتسلّمية وعليها المتسلّم والإيالة وعليها الوالي او الباشا . فلما تمّت التشكيلات الادارية في السلطة في السنة المذكورة جُعلت اربع درجات دُعيت

اعلاها باسم ولاية وعليها الوالي واما الثانية فان عالي باشا — الصدر الاعظم حينئذٍ — تعمد تسميتها باسم متصرفية وعليها المتصرف تحقيراً لرئيس حكومة لبنان اذ انهُ جعل دمشق مركزاً لولاية سورية وحلب مركزاً لولاية حلب وذلك ليظهر لعامة الشعب وللدوائر الرسمية ان رئيس تلك الحكومة التي تخصصت بنظام مخصوص سنهُ لها مقتدر الدول والتي امتازت بلقب خاص اصبحت اصغر مقاماً من الدرجة الاولى وحاكمها مساوياً للحكام الاداريين من الطبقة التابعة . ولكن رغماً عن هذا التدبير ظل مقام متصرف لبنان مساوياً لمقام والي دمشق ووالي حلب اذ تحتم على الباب العالي ان يمنحهُ رتبة الوزارة حال تعيينهِ متصرفاً لهذه الحكومة الممتازة . ولما سُلخت بيروت والسواحل عن دمشق وجُعلت ولايةً سنة (١٨٨٧) كان اكثر من تولى امرها غير حائزين على رتبة الوزارة مما دلَّ على عدم مساواتها في الاهمية بجبل لبنان عند الدولة العثمانية ذاتها

ولما خلا الجو في زمن الحرب الكبرى لطلعت وأنور وجمال فباضوا وصفروا والغوا امتيازات حكومة لبنان فانهم لبثوا مع هذا معتبرين لبنان اكثر اهمية من بيروت . لانهم وضعوا على رأس ولاية بيروت عزمي بك احد سفاحيهم الذي كان مديراً لبوليس بيروت . اما في لبنان فانهم عينوا احد كبارهم وهو علي منيف بك الذي كان تولى امر ولاية مناستير ثم حلب وبيروت ثم اصبح مستشاراً للداخلية . ولما انتهت مهمتهما من هذه البلاد فعزمي ذهب معزولاً واما علي منيف فطُلب معيناً لنظارة النافعة . ومن هنا يتضح لحضرة القارئ اللبيب ان تلك المتصرفية التي يريدون تحقيرها كانت اعظم مقاماً واكثر اعتباراً من الولاية التي يفاخرون بها ! . . .

٢ الجهة الثانية : كون البلاد المنضمة اكثر عدداً من متصرفية لبنانه القديمة

أضحكني الارقام التي اتوا بها ليسندوا مدعاهم . قالوا ان عدد المتصرفية القديمة يبلغ ٣٢٢،٦٠٨ نسمةً اما عدد ابناء البلاد المنضمة فبالغ ٣٨٨،٣٠٢ نسمةً . فمن أين اخذوا هذه الارقام يا ترى ؟ ان مجموع المذكورين هو ٧١٠،٩١٠ نسمة والحال كل يعلم ان مجموع سكان لبنان الكبير المقيمين على موجب احصاء ١٩٢٢ بلغ ٦٠٩،٠٦٩ نسمة وعدد المهاجرين الذين قطعوا علاقاتهم من حيث الاموال الاميرية ٨١،٢٤٣ نسمة يتوزع هذا المجموع على السناجق والبلدتين الممتازتين كما يلي :

	من نواحي لبنان القديم	من نواحي البلدان المنضمّة	المجموع
بيروت	...	٨٠,٢٢٦	٨٠,٢٢٦
طرابلس	...	٣٦,٥٧٤	٣٦,٥٧٤
لبنان الشمالي	٩١,٥١٢	٤٤,٩٧١	١٣٦,٤٨٣
البقاع وزحلة	٢٦,٧٣٠	٨٣,٥٧٣	١١٠,٣٠٣
لبنان	١٩٦,٦٧٥	—	١٩٦,٦٧٥
لبنان الجنوبي	٢١,٤٨٣	١٠٨,٥٦٨	١٣٠,٠٥١
	٣٣٦٤٠٠	٣٥٣٩١٢	٦٩٠٣١٢

وقد أُحصي في لبنان الكبير وقتئذ ٢٠,٢٥٠ اجنبياً فيكون مجموع الكل ٧١٠,٩١٠ نسمات ومن هنا تظهر لديك بكل سهولة ايها القارئ الكريم مهارتهم في تغيير الارقام فقد اضافوا اكثر من ثلاثين الفاً الى مجموع اهالي المحلات المنضمّة واسقطوا مثلها من مجموع اهالي نواحي المتصرفية القديمة افضلاً عن انهم اعتبروا — كرماً وانبساطاً منهم — جميع الاجانب وعددهم ٢٠,٢٥٠ جارين على رأيهم حتى تمكّنوا من ايصال مجموع السكان الى عدد ٧١٠,٩١٠ ! فما قولك بهذه الشعوذة الظاهرة والتي لا يمكن اخفاؤها اذ لا شيء اوضح من الارقام ؟

وفضلاً عن انه يجب اعتبار عموم سكّان بيروت من لبنان القديم كما سنبيّنه . فانه يجب ألّا ننسى ان كافّة اصحاب وظائف الحكومة والمصالح والمهن من اهالي قرى لبنان القاطنين في بيروت لمباشرة اشغالهم قد أجبرتهم الحكومة الحاضرة ان يأخذوا تذاكر نفوس من بيروت وهؤلاء لا يقلّ عددهم عن ١٥٠٠٠ نسمة وكذلك قل عن اللبنانيين الجبليين الموجودين في طرابلس وصيدا فقد أُجبروا على مثل ذلك .

فمن اين اهتدى اصحاب الكريريسية الى هذه الارقام الوهمية حتى زينوا بها مقالتهم ؟

وكاني بهؤلاء المدّعين قطيعَ الغنم اذ يقفز اولُ رأس ضان من الخوف او لسبب ما فيتبعه سائر القطيع دون معرفة سبب وثوب الرأس . او الى اين يؤدي ذلك الوثوب . تشدّقَ احدهم صارخاً في احد المجالس : « يا قوم ما هذه الحالة نحن ندفع الضرائب وابناء لبنان القديم يتمتّعون بالوظائف ليس هذا من العدل » . فاخذ سائر القوم يرددون هذه الجملة وامثالها في الجرائد والعرائض بدون تمييز وادراك . والذي

يلوح لي انهم يقصدون بقولهم ايضاً — كما يوضحون فكرهم الآن على صفحات الجرائد — ان المسلمين مهضومة حقوقهم وكل ذلك بسبب ابناء لبنان القديم عموماً والموارنة خصوصاً

فاين هو برهانهم يا ترى؟ كان الاولى بهم ان يظلوا صامتين ولا يفتحوا هذا الباب الذي لا يجديهم نفعاً. فان الحقوق لم تزل اكثرها لهم رغماً عن قلة عددهم وقد نال لبنان القديم عموماً والموارنة خصوصاً ضرر لا يخفى بسبب هذا الضم. واليك البرهان:

ورد في عدد البشير الصادر يوم الثلثاء في ١٧ نيسان سنة ١٩٢٣ جدول مأموري العدلية من مأموري نظارة ودائرة تفتيش وحكام وكتبة وخدم في العاصمة وسائر انحاء لبنان الكبير. فوجدنا معاشات مأموري الاسلام الستين اكثر من ضعفي معاشات مأموري الموارنة مع انهُ ثبت من الاحصاء ان الموارنة يزيدون عن الستين بخمسة وسبعين الفاً من النسمات! ...

خذ الجدول ترى ان الجداول الرسمية تذكر ٣٦٧ مأموراً من اكبر مدير الى أدنى حاوس. فمنهم خمسون فقط من المسيحيين على اختلاف طوائفهم واكبر مأمور منهم لا يتناول ثلاثين ليرة ذهباً والباقون البالغ عددهم ٣١٧ مأموراً كلهم من المسلمين ومن جملتهم الناظر العام ومعاشهُ ٩٠ ليرة ذهباً ورؤساء الدوائر الخ. وبين كل هؤلاء لا تكاد ترى عشرين من ابناء لبنان القديم و ٣٤٧ من المحلات المنضمة

خذ الحكام الاداريين والمتصرفين وعددهم ستة تجد اثنين منهم من المسلمين وواحد فقط من الموارنة — ويصيب لبنان القديم اربعة منهم والمحلات المنضمة اثنين

خذ المديرين — اي النظار كما يدعونهم الآن — تجد انه قبل استعفاء ناظر المالية الاخير كان خمسة منهم من البلدان المنضمة واربعة فقط من لبنان القديم وهذه اسماء هؤلاء الاخيرين: الامير فائق شهاب الدكتور يوسف منصور نجيب بك عبد الملك والقونس افندي ايوب

خذ النواب اعضاء مجلس الامة وعددهم مع الرئيس ثلاثون ذاتاً تجد منهم ١٤ فقط من لبنان القديم و ١٦ من المحلات المنضمة

خذ قائمقامي الاقضية وعددهم ١٢ تجد منهم سبعة من لبنان القديم وخمسة من الاراضي المنضمة واما من حيث المذهب فانك ترى منهم ثلاثة من الستين وثلاثة

من الموارنة . واذا قسمت القوم الى مسيحيين وغير مسيحيين فانك تجد منهم خمسة مسيحيين مع ان عدد ابناء مذاهبهم ٣٣٢،٠٠٠ من ٦٠٩،٠٠٠ المقيمين وسبعة من غير المسيحيين الذين لا يزيدون عن ٢٧٧،٠٠٠ نسمة من المجموع ذاته

اما اذا اتخذنا الطائفية اساساً لتوزيع الحقوق فنجد ان الموارنة خصوصاً والمسيحيين عموماً لم يزالوا مهضومي الحقوق . مضى علينا نحو ستمائة وخمسين سنة وليس للمسيحيين حقّ بشيء ولم تتكرّم الاكثرية حينئذٍ بالاعتراف بحقّ للاقليات واليوم اذ بدأت دولة الانتداب الكريمة تنظر بعين الانصاف الى الجميع وتحكم مبدأ المساواة بين عموم الاهالي غير مميّزة طائفةً او جماعة على سواها قامت قيامة هؤلاء الذين كانوا محتكرين لكلّ الحقوق فاخذوا يعلاون الفضاء صراخاً يولولون ويتظلّمون مدّعين بانتهاك حقوقهم ! . . أهذا هو عدلهم ؟ أهذه هي حقيقة الاخاء الوطنية ؟ أليس كلامهم هذا وتظلّمهم الذي لاسند لهُ في الواقع برهاناً واضحاً على استبدادهم وعلى ما ينوون بنا من ضروب الاعتساف لو تغلّبوا علينا بالاكثرية ؟

ادخل دوائر الدفتردارية والنفوس والبوليس و . . و . . ألا تجد مثلنا انّ اولئك الذين يتظلّمون بلا داعٍ ولا سبب لم يزالوا مفضّلين على سواهم مع ان طائفتهم تنقص ٧٥ الف نسمة عن الطائفة المارونية

وان شئتَ زيادةً في الايضاح عن الاجحاف الملتحق بالموارنة خذ مثالاً نظارة العدلية . فان نظرت الى دائرة النظارة والمفتش وحكّام محكمتَي التمييز والاستئناف (دون قلّتهم) وهذه الدوائر هي مرجع كافة لبنان الكبير تجد ان مجموع معاشات هؤلاء الذوات يبلغ شهرياً ١٥٩،٧٠٠ غرش ذهباً تتوزّع هكذا بين الطوائف : للموارنة ٢٨،٨٠٠ غرش ذهباً فقط مع ان للمسلمين السنيين ٣٢،٨٠٠ غرش وللروم الارثوذكس ٣٣،١٠٠ غرش وللدروز ٢٥،٠٠٠ غرش وللشيعة ٥،٢٠٠ غرش ولليهود ٢،٠٠٠ غرش وللاتين ١٦،٢٠٠ غرش وللروم الكاثوليك ١٦،٦٠٠ غرش . فالموارنة هم ثلث سكان لبنان الكبير المقيمين ولا ينالهم سوى سدس مجموع المعاش بنيف قليل ! — واذا نظرنا من حيث لبنان القديم والمحلّات المنشئة اليه نجد ان نصيب ابناء لبنان القديم من مجموع ١٥٩،٧٠٠ المذكورة هو ٧١،٠٠٠ غرش

فقط ونصيب المحلّات المنضمّة هو ٨٨،٧٠٠ غرش فاين هو استثمار ابناء لبنان القديم بالوظائف ؟

خذ ميزانية المعارف وهي لاتنقص عن ١٧٠،٠٠٠ ليرة تجدها كلّها امير المسيحيين ان لم نقل انها للمسلمين وحدهم ومعظم هؤلاء هم من ابناء المحلّات الملحقة ! فاين رأيت استثمار الموارنة او ابناء لبنان القديم عموماً بالمنافع والمعاشات ؟

يجلس كاتب جريدة وراء طاولته فيخال له انه اذا كتب جملة رنّانة او استظرف سجعةً يكون قد أتى بالوحي المنزل ! . . . ألا اتقوا الله ايها الكتبة فيما تكتبون ولاتزيدوا مصائب هذه البلاد بما تأتون به من الترّهات التي تزيد في التعصّب والبغضاء.

بقي لي كلمة واحدة : هب ان العالم تغيّر وعادت العدالة اجيالاً الى الوراء وعدنا الى عهد ظلم طوى وسُلخت عكّار وبلاد جبل عامل ووادي التيم واراضي بعلبك عن لبنان — مع انها اجزاء متمّمة لاراضيه — واتّبعت الوحدة السورية (ليتنّى للعدو التضييق علينا واماتتنا جوعاً كما حدث في عهد الحرب الكبرى) — قل لي ايها القارئ اللبيب ناشدتك الله كيف تؤخذ بيروت من قلب لبنان ؟ اين هي بيروت وكيف يمكن سلخها عن لبنان ؟ وباي ولاية يمكن الحاقها خلافاً عن لبنان ؟ اذا شاء استبداد الاتراك ان يستأثروا ببيروت ويضمّوها الى بلاد هي مفصولة عنها وضعاً هل يكون ذلك الاستبداد حقّاً مكتسباً يستند اليه لمقاومة العقل والتاريخ والطبيعة ؟ إجعلْ بيروت عاصمةً لمملكة الحجاز مثلاً ألا تبقى تُدعى جغرافيّاً من ارض لبنان ومن تراب لبنان ؟ وايُّ عارٍ على هؤلاء الصارخين ان تكون مدينتهم عاصمة للبنان ؟

لو سألناهم لِمَن كانت مدينة بيروت تابعةً قبل سنة ١٧٧٥ فهل يعرفون الجواب؟ وكم نده‍شهم لو قلنا لهم ان بيروتهم التي سلخها احمد الجزّار عن جبل الدروز وحكومة امراء لبنان في سنة ١٧٧٥ كانت محصورةً ضمن سورها الذي لا تزال ابوابهُ معروفة الى الآن اي بوّابة السراي ورجال الاربعين والبدركة ويعقوب وادريس والعنطية اعني ان بيروتهم لم تكن سوى ما نسمّيه الآن باسم البلدة العتيقة او السوق فقط ؟— امّا الساحل اى ما هو خارج هذه البوّابات اعني رأس بيروت والكراويا والباشورة والبسطة والصيفي والدحداح وسائر ما يؤلف بيروت الحالية فظلّ الى السنة ١٨٤٠

تابعاً للجبل ولامراء لبنان ومشايخه وكانت اكثر الاملاك فيها لهؤلاء الامراء والمشايخ

ولو اثبتنا لهم ان عدداً كبيراً من ابناء الطائفة الاسلامية الكريمة في بيروت هم من لبنان القديم ترى ماذا يجيبون ؟ سلوهم من اين هي عائلات الحسامي والبرجاوي والعريسي والعانوتي والبليني والسحراني والغيتروني والمزبردي وغيرها ؟

هذا اذا اقتصرنا على الاسلام وما قولك اذا انتقلنا الى النصارى وسألناك عن اقدم عائلاتهم البيروتية مثل طراد وفياض وداغر والجميلي والتيان وادّه والشويري والكفوري وسرسق والبرباري والبخعازي والفرزوزي والفيماني ويارد وشلفون وثابت وقيقانو وبتلوني والحايك من اين هم فماذا تجيب ؟

٣ الحجة الثالثة : هجرة البلاد الداخلية الى بيروت كجبنا لربا

اخيراً والمُضحك اكثر من كل براهينهم قولهم بلزوم بيروت اسكلة للداخلية التي لا غنى لها عنها ! . . يا لله ما اوهى واسخف هذه الحجة فاولاً لم تكن سورية يوماً من الايام بلاداً سياسية واحدة مع فينيقية لنقول ان بيروت هي اسكلة لدمشق لازمة لها . تصفح التاريخ تجد ان هذا الادّعاء ليس له اصل . ثانياً ان الاتحاد السوري كما صار تشكيله له منافذ عديدة على البحر فهذه مدن اسكندرونة واللاذقية وجبله وطرسوس وغيرها أليست كافية لدول سورية المتحدة ؟ واخيراً ما هذا البرهان هل يكفي ان يكون جارُك محتاجاً لارضك ليكون له الحق بتملكها ؟ او ليس هذا برهان غليوم الثاني لفتح بلجيكا لتكون له مدينة انفرس منفذاً لالمانية على بحر الشمال ؟ وهذا القياس يجعل للاقوياء الحق باستملاك اراضي جيرانهم الضعفاء . فأنعم به برهاناً منطقياً ومبنياً على الحق والعدالة !

الخلاصة

رأيت بالبرهان الحي ان ابناء لبنان القديم لم يستأثروا حتى الآن بالوظائف لا بل ان تشييد دولة لبنان الكبير قد افقدهم قسماً من حقوقهم ورأيت ايضاً ان المرارنة بعيدين عن هضم حقوق غيرهم وانهم طالما غُلبوا على امرهم وفقدوا مما كان لهم في لبنان القديم ومما يحق لهم المطالبة به الآن

ومن جهة ثانية اننا نعجب من مطالبة هؤلاء موقعي العريضة وامثالهم بوظائف يدّعون الحقّ بها فاي حقّ لهم في دولة لبنان الكبير مع انهم طلبوا رسمياً قطع ما يثبت لبنانيتهم من تذاكر النفوس وهم يعلنون شكرهم للدولة المنتدبة لانها استجابت طلبهم . فاذا كانوا لا يقرّون بدولة لبنان الكبير ولا يريدون ان يكونوا لبنانيين فاي حقّ لهم بوظائف لبنان ؟

انني اجلّ الطائفة الاسلامية الكريمة وافتخر بصداقة كثير من وجوهها ومتنوّريها بل تشرّفتُ بالتعليم في اكبر معاهدها العلميّة فلا اراها تعتبر هؤلاء العارضين والمتشدقين وكلاء عنها ترضى بكلامهم ومزاعمهم لاسيما وانها الركن الثاني لهذه الدولة الجديدة وبهتها كل ما يسير بهذه الدولة نحو التقدم والنجاح

أرى بعد كل هذا ان الاليق بهؤلاء المقلقين ان يعودوا لانفسهم ولا يقاوموا طبيعة المكان وحقيقة التاريخ والواقع وان يكرّسوا لمنفعة الوطن وخدمة هذه العاصمة تلك القوى والمساعي التي صرفوها حتى الان بمعالجة المستحيل غير الممكن . والاجدر بالحكومة المنتدبة الكريمة — وكلّنا يعلم محبّتها لخير هذه البلاد ورغبتها الى ارشادنا — ان تنبذ الطائفية جانباً ولا تنظر الّا الى الجدارة والكفاءة والمقدرة السياسية والادارية والعلمية لا غير — واذا كان لا بدّ لها في المدة الاولى من مراعاة جانب الطائفية فلتسِر وفقاً لما كانت سائرة عليه متصرفية لبنان القديمة اي فلتخصّص عدداً من الوظائف او مقداراً من المعاشات لكلّ طائفة بالنسبة الى عددها في المجموع وبهذه الطريقة تبطل المنافسة والمزاحمة الموجودتان الان بين الطوائف وينحصر سعي ابناء كل طائفة في مزاحمة بعضهم البعض لا غير دون التوصّل الى عداوات مبنية على التعصّب الذي هو اكبر آفات هذه البلاد حتى الآن انقذنا الله من وباله !

انتصار العرفان للوطنيّة والتاريخ

للاب هنري لامنس اليسوعي

وقع نظرنا على العدد الاخير من مجلّة العرفان وهو عدد ذي القعدة ١٣٤١ (حزيران

١٩٢٣) وقد تنسّمنا من مقالات اصحابه كما في الاعداد السابقة ريح الدفاع عن الوطنيّة والحضّ على درس تواريخنا الاهليّة ونعم الفكر. ولنا مقالٌ في السنة الاولى للمشرق (ص ٢٨١) أجمع القرّاء على استحسانه وكان عنوانهُ «هيّا على درس تاريخنا» فيسرُّنا انّ كتبة العرفان يتّفقون معنا في نشر هذه الغاية . ولا حاجة الى الثناء على وطنيّتهم فان كلّ صفحات العرفان تشهد لهم في ذلك

على اننا نجد من وقت الى آخر في وطنيّتهم وتاريخهم شوائب تكدّر نوعاً صفاءها. اقرأ مثلاً في العدد الاخير مقالة مدير المجلّة (ص ٦٦١–٦٦٤) التي عنوانها «نظرة في دمشق» فان في مدارجها اقوالاً يستشفّ من وراء ستورها الوطنيّة ملامةٌ تجرح كثيراً من الوطنيين. وذلك ما يقولهُ جنابهُ عند بلوغ سيّارته الى صوفر قال :

وكان الظلام قد مدّ رواقهُ وكانت السيّدات والآنسات يَبرزْنَ افذاذاً وافواجاً ومنّ يتكلّمن برطانة اعجميّة وانْ قلتَ لِمَ لا يتكلّمن بلغة آبائهنّ واجدادهنّ؟ قلتُ لك قد نسيَنها او تناسينَها او عدلنَ عنها الى لغة امهنّ الحنونة واحللنها مكاناً فسيحاً وصدراً رحباً في حوادث الصليبيين والستّين وفي هذا الدور دور الاحتلال وفراغ البال وعصر الرقص او (البال) واخواتنا اللبنانيّون عُرفوا من العهد القديم في اكرام الضيف ورحابة الثوى وفرنسا احسنت اليهم (وما جزاء الاحسان الّا الاحسان) ولا تسلني عمّا رأيتُ بصوفر فاني لم اختلط بتلك الفئة الراقية . . .

ففي هذا الكلام من التهكّم ما لعلّهُ يليق بالوطنيّة الشيمّية وهيهات ان يليق بالوطنيّة الصادقة . فانهُ جعل اللغة الفرنسويّة «رطانة» كأنّ اللغة العربيّة الدارجة في لبنان بين العموم اقلّ رطانةً من الفرنسويّة الفصيحة! وما ادرى الكاتبَ ان هؤلاء السيّدات لم يكنّ من اجانب المصطافين؟ وكانهُ يسخر باللبنانيين ويشكرهم نحو فرنسة «امهم الحنونة» وكفى بذكر لعيد الصليبيين ولحوادث الشام سنة ١٨٦٠ داعياً لمنونيّتهم . ولو اختلط الكاتب بتلك «الفئة الراقية» لعرف لطفهم ولَسكتوا اجلالاً لشخصه عن مآثر الشيعة في جبل عامل قبل ستين وهي اقرب الى ذهنهم من حوادث الصليبيين وسنة الستين !

وفي هذه المقالة عينها من التسميات والتعريضات في حقّ الاجانب اي فرنسة ما يُنبي جناب الكاتب نعتها نحو قومهِ مع علمهِ «بانّ جزاء الاحسان هو الاحسان» فانّهُ في الصفحة ٦٦٢ يزعم انّ شركة السكة الحديديّة بل الشركات الاجنبيّة عموماً

«تستدرُّ خيراتنا وتمتصُّ دماءنا وهي بزعمها صاحبة الفضل والاحسان وربَّة العظمة والشأن» (كذا)! فما لهُ اناره الله لم يدَّع «السيَّارة» الاجنبيَّة التي ركبها؟ والسكَّة الحديدية الاجنبيَّة التي احتاج اليها بعد تعطُّل سيارته؟ وما لهُ يلبس من رأسهِ الى قدمهِ الثياب الاجنبيَّة؟. أما كان أليق بوطنيَّتهِ ان يركب الجواد او بالحري الناقة العربيَّة وهو ابن «راكب الناقة» ويلبس ثياب وطنهِ كالقميص والقباء والعباءة والجزمة والكوفيَّة والعقال؟ فانَّهُ بذلك يبرهن عن وطنيَّتهِ اكثر من تنديدهِ بالشركات الاجنبيَّة

وتراهُ في وصفهِ لدمشق يشيد بمحاسن المدينة امَّ الجمال والابداع» ويذكر آثارها واهلها ورقيَّها ولا ينسى الَّا ما نالتهُ من فضل الانتداب الفرنسويّ بعد الازمة الفيصلية لا بل لم يجد هناك ايضاً سوى تقريع الاجانب حيث يقول (ص ٦٦٤) «وفي الشام شؤون وشجون لوَّثت اعجميَّة (كذا) نفضُ الطرف عن تفصيلها وبيانها لأنَّا نحبُّ ان نكون كالنحل (ذات اللسعة الجارحة!) الذي يقع على الورود والازاهر لا كالجُعَل الذي يتهافت على النجاسات والاقذار» ومن ثمَّ على رأيهِ لم يجد في دمشق من اعمال فرنسة وفضلها الَّا القاذورات واللوثات والاقذار. فتلك هي وطنيَّة صاحب العرفان!!!

*

وكما ان مدير العرفان لم يَرْعَ دائماً حقوق الوطنيَّة كذلك التاريخ فانهُ ربَّما يخس شيئاً من شأنهِ. وهو الكاتب في العدد الذي نحن بصددهِ (ص ٧٠١) مقالةً عنوانها «احترموا التاريخ ان لم تحترموا الدين». والشاهد على قولنا ترجمتهُ (ص ٦٧٩) لخولة بنت الازور الكندي فيُطري شجاعتها واقدامها وتفوُّقها وفصاحتها، ويسوءهُ ان ينسى اهل الوطن تلك المرأة آية عصرها ولا يذكروا سوى جان درك الفرنسويَّة او بعض الاسماء الاعجميَّة ما ينبو عنهُ سمعُك. فيا جناب مدير العرفان أتعرف من هي خولة بنت الازور التي تعدُّها مرأةً عبقريَّة مثال الشهامة والفروسيَّة؟ تقول في آخر ترجمتها في ذيل المجلَّة (ص ٦٨٢) انَّك استندت الى كتاب رَبَّات الخدور؟ وهل بحثتَ عن الاصل الذي نقلت عنهُ صاحبة رَبَّات الخدور السيدة زينب فوَّاز العامليَّة. انَّما نقلت ذلك من كتاب لا يعتبرهُ اهل النقد الَّا روايةً خياليَّة كسيرة عنتر منسوبة

زورًا الى الواقدي والواقدي بريءٌ منها لأنّ كتابهُ فتوح الشام من التآليف الموضوعة بعدهُ بمئين من السنين والدليل عليهِ انّ انشاءهُ مخالف تمامًا لانشاء الواقدي وانك لا تجد ذكرًا لهذا الكتاب في اي تأليف شئت من تآليف الادباء الاقدمين حتى ولا في كشف الظنون للحاج خليفة . ولو امكنك ان تأتينا بسطرين فقط عن خولة بنت الازور التي سُحِرتَ باخبارها واشعارها المنقولة عن تأليف مصنوع كنّا للكمن الشاكرين. أتريد بعد هذا ان ننسى «جان درك الافرنسيّة» التي اقرّت بفضلها السامي مشايعتك السيدة زينب فوّاز (اطلب الشرق ١٩ [١٩٢١] : ٩٠٨ — ١١١) لكي نعظّم مآثر امرأة لا ذكر لها لا في كتاب الاغاني ولا في تراجم الصحابة ولا في تاريخ صحيح . ترى يا جناب مدير العرفان انك نسيت ما تبكّت غيرك على نسيانهِ حيث تقول : احترموا التاريخ ان لم تحترموا الدين »

وهل احترمتَ التاريخ يا جناب مدير العرفان اذ تصدّيت للسيّد محمّد كرد علي رئيس المجمع العربيّ (ص ٧٠١) واردتَ تفنيدهُ بخصوص ما كتبهُ عن يزيد بن معاوية ؟ فانّ المجلّد الضخم الذي نشرناهُ في سيرة واعمال هذا الخليفة الاموي تبرّر جناب السيّد الذي بذكائهِ عرف ما لخلفاء بني اميّة من الفضل على عاصمة الشام مباشرةً بمعاوية وابنهِ يزيد مهما سعى اهل الشيعة ان يشنّعوا عليهما . لقد اصاب السيّد كرد عليّ بقولهِ انّ الخلاف الذي جرى بين بني اميّة وعليّ بن ابي طالب انّما كان من قبيل السياسة لا دخل للدين فيهِ كما انهُ حاول ان يثبت ان يزيد لم يكن ذاك الطاغية الشرّير الذي يصوّرهُ الشيعيّون في كتبهم . وكفاهُ اثباتًا لرأيهِ ما رويناهُ عن الامام الغزّالي (١ الذي استحسن اسلامهُ وذكر ما يُروى عنهُ من حوادث كربلاء وهناك يقول : «وما صحّ قتلهُ للحسين ولا امرهُ ولا ارضاهُ ذلك» ومن ثمّ نهى الناس عن لعنهِ وختم بقولهِ «الترحّم عليهِ جائز بل مستحبّ» . فاذا يقول صاحب العرفان بهذا ؟ او ليس هو الذي لم يحترم التاريخ ؟

نعم ولم يحترم التاريخ في مكان آخر (ص ٧٠٢) حيث قال عن سرجون «كان مولى لمعاوية وكان مسلماً» . فاين رأيت يا جناب كاتب العرفان انّ سرجون هذا كان مسلماً ؟ فلو راجعت اقدم كتب الاسلام لتحقّقت انهُ كان نصرانيًّا . فهذا

١) راجع كتابنا عن خلافة يزيد (Le Califat de Yazid 1er, p 490)

كتاب الاغاني وهو لاحد كتبة الشيعة المشاهير قائلاً بذلك قائلاً (١٧ : ٧٠) : « كان يزيد بن معاوية ينادم على شرب الخمر سرجون النصراني مولاهُ والاخطل » ومثلهُ الطبري الذي يدعوهُ «الرومي ومولى معاوية» . ويعرف العلماء الاثبات انَّ من سلالتهِ كان ذاك الكاتب والشاعر والجدليّ المعظم القديس يوحنّا الدمشقي فخر الكنائس الشرقيَّة . أفكلُّ ذلك دليل على احترام اصحاب العرفان للتاريخ الصادق ! والسلام

في البطريركية الانطاكية

بقلم حضرة القسّ اسحق ارمله السرياني (تابع)

٥ بطاركة الموفسيين الانطاكيون من السنة ١٠٠٤ الى ١٢٩٢

٣٣ (يوحنا العاشر) يُعرف بابن عبدون انتُخب بطريركاً في ٦ تموز ١٠٠٤ ورسم ٤٩ مطراناً وشخص الى القسطنطينية في ستة اساقفة وعشرين راهباً في ١٥ حزيران ١٠٢٩ بأمر نيقيفور الملك فتباحثوا في مسائل الاعتقاد مع اللكيين ونصح لهم البطريرك القسطنطيني ان يعدلوا عن وضع الزيت بالقربانة وعن التصليب بالاصبع الواحدة فلم يذعنوا فنُفي البطريرك يوحنا الى بلغارية حيث انقضت انفاسه في ٢ شباط ١٠٣٠

٣٤ (ديونوسيوس الرابع) ارتسم بطريركاً يوم الخميس ١٤ تشرين الاول ١٠٣٢ فحرد عليه المفريان اثناسيوس لانه لم يحضر رسامته وكاد ينصب غيره . بيد ان البطريرك ديونوسيوس ذهب اليه متنكّراً وقام بخدمته تسعة شهور ثم عرفهُ انهُ هو البطريرك فاستغفره المفريان واستصحبه الى دير برصوما . وشرط هذا البطريرك ان تكون آمد وماردين مركزاً للكرسيّ البطريركيّ وكان البطاركة الى هذا الحين يتنقّلون من دير الى دير ومن مدينة الى مدينة . وتوفي البطريرك ديونوسيوس في ٢١ اذار ١٠٤٢ ورسم ٣٢ مطراناً

٣٥ (يوحنا الحادي عشر) تقلّد البطريركية في ٢ آب ١٠٤٢ فامتعض المفريان لغيابه عن الرسامة . فتوجّه اليه البطريرك في اساقفته ورقوا ثلاثة صكوك في الجزيرة فحواها ان لا يُرسم بطريرك فيما بعد الّا بحضور المفريان ووُضع الصك الاول في تكريت والثاني في دير قرتمين والثالث في الجزيرة . وتوفي البطريرك في ايار ١٠٥٧ ورسم ٣٠ مطراناً

٣٦ (اثناسيوس السادس) ارتقى الى البطريركية في دير فاريس بحصن منصور سنة ١٠٥٨ في غياب المفريان فاستشاط عليه غضباً واتّفق مع اساقفته ونصب في ديار بكر الراهب يشوع بن شوشان بطريركاً وسُمّي يوحنا الثاني عشر . وتوفي البطريرك اثناسيوس سنة ١٠٦٤ ورسم عشرين اسقفاً من جملتهم بطرس بن الطريل مطران عرقه (١ الذي نبذ المنوفستيّة واعتنق الايمان الارثذكسيّ الكاثوليكي .

٣٧ (يوحنا الثاني عشر) تأيّد في البطريركية بعد وفاة سالفه وجعل مقرّهُ في ديار بكر . وكان مولعاً بالتصانيف والمطالعة حتى انه كان اذا سافر وجلس ليستريح يأخذ القلم يسرّد ويبيّض . ونسخ في شيخوخته ميامر مار افرام ومار اسحق اللفانين . وادركته الوفاة في ٦ تشرين الثاني ١٠٧٣ ودُفن في ضريح رخام أُقيم لهُ في كنيسة ديار بكر ورسم ١٧ مطراناً

٣٨ (باسيل الثاني) وفي كانون الثاني ١٠٧٤ ترأس باسيل الثاني وقضى نحبه في ميافرقين سنة ١٠٧٥ ورسم ستة اساقفة

٣٩ (يوحنا الثالث عشر) المعروف بابن عبدون نُصب بطريركاً ضدّ القوانين بحضور اربعة اساقفة فقط . وذكر ابن العبريّ ان فيلرطس القائد الارمنيّ رشّا عشرة اساقفة فرسموه . ومن ثمّ انتقض عليه سائر الاساقفة واجتمعوا بالمفريان ونصبوا في ايار ١٠٧٧ الراهب لعازر بطريركاً ودُعي ديونوسيوس الخامس وظلّ ابن عبدون البطريرك حيّاً حتى سنة ١٠٩٥

٤٠ (ديونوسيوس الخامس) تأيّد في البطريركية حتى اختترمته المنية في ٢ كانون الاوّل ١٠٧٩

٤١ (يوحنا الرابع عشر) ارتقى الى البطريركية عام ١٠٨٦ وتغلّب عليه ابن

١) اسم لمدينتين احداهما في سلطية وهي المقصودة هنا والثانية شرقي طرابلس

عبدون وأثار عليه فلرطس الارمني صاحب قبدوقية فاذاقه مذلات فادحة . ولم يستمرّ في البطريركيّة الّا ستةً وستة اشهر

٤٢ (ديونوسيوس السادس) هذا دفع لفلرطس الارمنيّ ثلاثة آلاف دينار واستمال اليه اسقفين فرسماه بطريركاً سنة ١٠٨٨ لكن يوحنا المفريان لم يستعرفه بادئ بدء ثم أيّده حتى توفي سنة ١٠٩٠

٤٣ (اثناسيوس السابع) المعروف بابي الفرج ابن خمّاره الاميديّ تولّى البطريركية في ١ كانون الاوّل ١٠٩١ وحاول ابن عبدون ان يخلعه كسلفائه الثلاثة . بيد ان اثناسيوس رحل الى بغداد واستحصل فرماناً من الخليفة بعزل ابن عبدون واستعرافه هو ولمّا قفل راجعاً توفي ابن عبدون في حصن منصور ودُفن بأمر البطريرك قدّام باب الكنيسة . واشتهر اذ ذاك يوحنا سعيد ابن صابونيّ (١ مطران ملطية الكاتب البليغ وشقيقهُ باسيل ابو غالب الذي أرغم البطريركَ فسقّفه على الرها سنة ١١٠٧ وقال للرهاويين «خذوه ولا تتهنّأوا» وما عتّم ان سخط عليه البطريرك وقطعه وكرّر جميع ما اجراه من الرسامات . واعتاد سريان الرها مذ ذاك ان يعمدوا أطفالهم في كنيسة الافرنج . وكان ابو غالب يقيم الطقوس البيعيّة بلا مصنغة ولا بطرشيل ولا عكّاز . وتوسّط السيّد برنردس بطريرك انطاكية الارثذكسيّ مع الاميرين الصليبيّين بغدوين وجوسلين في استطاف خاطر البطريرك عليه فلم ينجحوا . وتوفي البطريرك يوم السبت ٨ حزيران ١٢٢٩ ورسم ٦٧ مطراناً و ١٥٤ كاهناً و ٢٥٠ شمّاساً

٤٤ (يوحنا الخامس عشر) برت حفة رسامته بطريركاً في ١٧ شباط ١١٢٩ في كنيسة الافرنج الكاثوليك بقلعة تلّ باشر بحضور جوسلين وارباب دولته الفرنساويين . وتوفي في ايلول ١١٣٧ وقبل وفاته بسنة واحدة حصر الترك مدينة اطنة وكانت عامرة بالسريان اليعاقبة فدوّخوها ونهبوها وقرّضوا كنائسها وسبوا مطرانها ايونيس ابن الطويل الرهاويّ مع قسّانه وشمامسته وطائفة صالحة من الفتيان والفتيات (٢

١) اورد اسمه ابن العبريّ في تاريخه المدنيّ السريانيّ ص ٣٦٢ ووصفه يوحنا صاحب الذيل . وقُتل قبل وصوله الى ابرشيتهُ في ٤ تموز ١٠٩٦

٢) التاريخ السرياني الرهاوي الذي عُني بطبعه غبطة بطريركنا (ص ١٠١)

٤٥ (اثناسيوس الثامن) نُصب بطريركاً في ديار بكر في ٤ كانون الاوّل ١١٣٩ بوضع يد المفريان ديونوسيوس. وتحزّب الاساقفة وأبرموا شروطاً على البطريرك اضطرّ ان يقبلها. وفي كانون الثاني ١١٥٥ عقدوا مجمعاً رتّبوا فيه اربعين قانوناً رفضها البطريرك واساقفة المغرب اوّلاً ثم قبلوها اذ كانوا يرسمون كهنة بالرشوة مما حمل يوحنا ابن اندراوس اسقف منبج ان يهجو البطريرك بشعره المشهور. وعام ١١٦٥ اشار المطارنة على البطريرك ان يستوطن ماردين بدلاً من ديار بكر فنصب ابن الصليبي مطراناً لها. وهذا ابن الصليبي شرح الكتاب المقدس وصنّف كتباً شتى دينية وجدلية وتاريخية توفي سنة ١١٧١. واشتهر اذ ذاك طيمثاوس مطران جرجر الشاعر المتفنّن (+١١٦٩) ويوحنا مطران ماردين الخبير بالعلوم البيعية والهندسيّة (+١١٦٦) وهارون السجستاني اسقف الحديثة الذي نبذ المنوفستية واعتنق الايمان الكاثوليكي في القسطنطينية ثم حجّ الى اورشليم وسار الى جبل لبنان واقام عند السريان الموارنة حتى وفاته. اما البطريرك اثناسيوس فاختزمته المنية في ١٤ تموز ١١٦٦ ورسم مفريانين و ٣٢ اسقفاً

٤٦ (ميخائيل الاوّل) الكبير تولّى الرئاسة البطريركية يوم الثلاثاء ٨ تشرين الاوّل ١١٦٧ بحضور ٢٨ اسقفاً والمفريان يوحنا السروجي. وبعد رسامته كتب صورة ايمانه وأوفدها الى بطريرك الاسكندريّة. ثم رحل الى دير الزعفران وسنّ ٢٩ قانوناً وقرّر ان تكون ماردين كرسيا للبطريركيّة. ثم ركب الى الرها فاورشليم عام ١١٦٨ وكرّس الميرون في دير السريان المعروف بدير مريم المجدليّة ثم ظعن الى انطاكية فأدخله الفرنج الى كنيسة مار بطرس باتّهة ورونق. وارسله نرسيس جاثليق الارمن في مسألة الاتحاد فاجابه البطريرك: «لا بأس من التسليم بالطبيعتين أما حذف الزيادة من التريصاجيون وحرم قديسينا فيتعذّر علينا قبوله. ومع هذا فما تصنع انت نصنعه نحن ايضاً»

وعام ١١٨٠ تمرّد ثاودرس ابن وهبون على ميخائيل الكبير (١ وحالف اربعة اساقفة فرسموه بطريركاً دخيلاً في ديار بكر. فاستحضره ميخائيل قسراً الى دير برصوما وخلع عنه الحلّة الحبريّة وحلق لحيته والبسه طربوشاً وثوباً بسيطاً وسرّحه فازداد ابن

١) المشرق (١٠ [١٩٠٧]: ٦١٧)

وهبون مكابرة وقصد جاثليق الارمن فنادى باسمه بطريركاً حتى وفاته عام ١١٩٣ . وكان متضلعاً من السريانية والعربية ونظم شعراً عربياً هجا به ميخائيل الكبير وتوفي البطريرك ميخائيل في ٧ تشرين الثاني سنة ١٢٠٠ ورسم ستين اسقفاً وألف كتباً شتى اشهرها تاريخهُ الكبير . وفي عهده ضبط المسلمون سنة ١١٧٠ الدار البطريركية السريانية بماردين وجعلوها جامعاً واستحلوا سنة ١١٧٢ كنيستها الكبرى التي شادها برصوما الماردينيّ على اسم توما الرسول . وهذا البطريرك نصب يوحنا موديانا الرهاويّ مطراناً لماردين فسار الى القسطنطينية وتبع الملكيين فنصبوه مطراناً لميافارقين (١

٤٧ (اثناسيوس التاسع) سُمّي بطريركاً في ١٩ كانون الاول ١٢٠٠ فثار عليه المفريان غريغوريوس واستحضر يشوع ابن اخي ميخائيل الكبير ونصبه بطريركاً . فاستعرت نيران التباغض والتحاقد بين البطريركين وصار كل منهما يرشو الحكام ليستظهر على خصمه . فانقسمت الطائفة المنوفسيّة فرقتين واعترف ميخائيل الثاني بطريركاً في تكريت والموصل ونصيبين وماردين والخابور . واثناسيوس في سورية وبلاد الروم وطور عبدين حتى اخترمته المنية عام ١٢٠٧

٤٨ (ميخائيل الثاني) تأيد في البطريركية في آب ١٢٠٨ لكنه في السنة ذاتها خلعه اساقفة آمد والرها وطور عبدين ونصبوا بدلاً منه يوحنا السادس عشر . فرحل الى ملطية حيث كان ميخائيل الثاني . فخرج لاستقباله جمهور الاقليريس والشعب ولما وصلوا الى باب دار ثاودورس قريباً من دار ميخائيل الثاني أمر الاساقفة ان يصمت الشمامسة فاندفع ثاودورس اسقف الرها يرنم بصوته الرخيم القائم الذي مطلعه «اين انتَ اليوم يا يهوذا الخائن» ولم يحيدوا عن الدار حتى الى على الترنيمة بأسرها . وتوفي ميخائيل الثاني عام ١٢١٥

٤٩ (يوحنا السادس عشر) تأيد في ٢٧ تموز ١٢١٥ وتوفي عام ١٢٢٠ واشتهر في زمانه داود بن فولس مفسّر العهدين ومصنف المجادلة بين ملكيّ ويعقوبي وغير ذلك . وساويرا يعقوب البرطليّ صاحب كتاب الكنوز والرسائل واليامر والتفاسير وهو الذي أوجزَ فصاحة انطون التكريتيّ البليغ

٥٠ (اغناطيوس الثالث) هو المفريان اغناطيوس داود الخيشوميّ نُصب

(١ المشرق (١٠[١٩١٧]:٦٦٦)

بطريركاً احد العشرة ١٢٢٢ بعد وفاة سالفه بسنتين . ورحل مع اساقفته الى انطاكية وطرابلس وعكاً ولما وصل الى اورشليم استقبله الرهبان الفرنسيسيون وحملوه على اكتافهم من باب العمود الى دير المجدلية وكان يقطنه اذ ذاك سبعون راهباً سريانياً . ثم قفل عائداً الى انطاكية وشاد فيها كنيسة وقلاية لسكناه . وعام ١٢٣٧ كتب الاب فيلبس الكرمليّ من اورشليم الى البابا غريغوريوس التاسع يبشره بان البطريرك أدّى الطاعة للكرسيّ الرسوليّ . وأيد اقراره ثانيةً عام ١٢٤٧ مع يوحنا ابن المعدنيّ المغريان وارسل كلٌّ منهما صورة ايمانه الى البابا انوكنتيوس الرابع (١ وحلّت وفاة البطريرك في ١٤ حزيران ١٢٥٢ وهو الذي نصب في ١٤ ايلول ١٢٤٦ غريغوريوس ابا الفرج ابن العبريّ المشهور بتآليفه الجمّة مطراناً لجوباس بملطية . وعُرف في زمانه الحكيم ابو سالم النصرانيّ اليعقوبيّ الملطيّ والحكيم ناذريّ الانطاكيّ اليعقوبيّ النحاة الذي احكم اللغة السريانية واللاتينية بانطاكية . . واتقن علم الطبّ

٥١ (ديونوسيوس السابع) هو اهرون عنجور مطران ملطية ارتقى الى البطريركية في ١٤ ايلول ١٢٥٢ خلافاً للقوانين . فتقبل ذلك على المغريان باسيل يوحنا ابن المعدنيّ فوافى الى حلب وارتسم بطريركاً في ٤ كانون الاول ١٢٥٣ ورحل الى انطاكية فرحّب به الفرنج وادخلوه الى كنيستهم لانه كان قد قرّر اعتقاده بالايمان الكاثوليكي عام ١٢٤٧ كما ذكرنا آنفاً . وشبّت نيران الشحناء بين البطريركين زمناً حتى عاد البطريرك ديونوسيوس الى دير برصوما وطفق يضيّق على الرهبان فتقمروا عليه وفتكوا به فقتلوهُ قدّام درج المذبح ليلة السبت من اسبوع نينوى ١٧ شباط ١٢٦١

٥٢ (يوحنا السابع عشر) هو ابن المعدنيّ المذكور تولى البطريركية وحده حتى سنة ١٢٦٣ وكان خبيراً بالعربية والسريانية وصنّف خطباً واشعاراً تستحقّ الذكر . وقد ورد في كتاب الفرض خاصّة قرية عرناس بطور عبدين ما شرحه : انتهى نسخ الكتاب في ٢٨ تشرين الاوّل ١٢٥٥ في عيد رؤساء الملبعة الذين تحفّزوا للخصام وهم البطاركة يوحنا [ابن المعدنيّ ١٢٥٣—١٢٦٣] وتاودسيوس واثناسيوس (٢

١) طالع كتاب السلاسل التاريخية لجناب تنيكونت فيليب دي طرّازي (ص ١١٥—١١٧) وخطابس اسكندر (ج ١٥ راس ١ ف ٤ عدد ٣ ص ٣٧) ومكتبة السمعاني (٤ : ٤٠٦)

٢) طالع في المشرق (١٦ [١٩١٣] : ٦٠٥) سياحتنا في طور عبدين

فيتحصّل من ذلك ان المتوفيين آنفاً كان يرأسهم ثلاثة بطاركة ولعلّ المراد بثاودسيوس ديونوسيوس السابع سالف ابن المعدني . أمّا اثناسيوس فكان كما نظنّ بطريركاً في طور عبدين

٥٣ (اغناطيوس الرابع) خلف ابنَ المعدنيّ في ٦ كانون الثاني ١٢٦٤ وبعد رسامته بثلاثة عشر يوماً اقام ابن العبريّ في سيس مفريانًا للشرق بحضور اساقفة السريان والارمن . وتوفي البطريرك يوم الثلاثا ١٧ تشرين الثاني ١٢٨٣

٥٤ (اغناطيوس فلكسين) غرود الملطيّ نُصب بطريركاً في ٢ شباط ١٢٨٣ فشقّ ذلك على المفريان ابن العبري لانه لم يحضر الرسامة . وظلّ البطريرك في دير برصوما حتى اختتمه المنية في ١ تموز ١٢٩٢

٦ البطاركة المتوفيون الانطاكيون (١٢٩٣—١٦٦٢)

٥٥ (قسطنطين) وفي غرّة سنة ١٢٩٣ اجتمع قسطنطين مطران ملطية بثلاثة اساقفة فنصبوه بطريركاً في تشرين الثاني وفي الشهر ذاته رسم اغناطيوس ميخائيل برصوما بطريركاً وجعل كرسيّهُ في قيليقية وتوفي قسطنطين بعد سنة فاستولى على البطريركية ميخائيل (١ . وفي ٢ شباط ١٢٩٣ أقيم ابن وُهَيب ايضاً بطريركاً باسم اغناطيوس الخامس فأمسى المتوفيتون خاضعين لثلاثة بطاركة وهم بطاركة ماردين وقيليقية وطور عبدين . وتوجّه ابن وُهيب الى الملك المنصور الأرتقيّ صاحب ماردين (١٢٨٥—١٣١١) فأنعم عليه بصكّ التأييد في البطريركية . وعام ١٢٩٨ منحهُ التأييدَ الكنسيّ المفريانُ برصوما الصفيّ شقيق ابن العبري († ١٣٠٨)

٥٦ (اغناطيوس الخامس) هو ابن ابرهيم بن وُهَيب ويقال لهُ ايضاً بدر زخيا ارتسم بطريركاً عام ١٢٩٣ وتأيّد عام ١٢٩٨ وادركه الاجل عام ١٣٣٣ ودُفن في دير الزعفران . ومن آثار قلمه شرح الالف با بالسريانيّة والعربيّة وتفسير القداس وتافور

١) تسلسل من ميخائيل البطريرك منذ سنة ١٢٩٣ الى ١٦٤٥ خمسة بطاركة كانوا يسوسون سورية وقيليقية . وخلف ميخائيل ارلهم عام ١٣١٣ يشوع بن شوشان ودُعي ميخائيل كالله . وولية عام ١٣٦٩ باسيل جبرائيل مطران ملطية . وخلفهُ عام ١٣٨٧ فيلكسين مطران دمشق (+ ١٤٢١) ثم شمعون الجرجري الذي وضع عليه اليد بطريرك الاقباط . وتوفي في اورشليم عام ١٤٦٥ وألفيت جثته بطريركيّة سورية وقيليقية

٥٧ (اغناطيوس اسمعيل) بعد وفاة ابن وُهَيب التأم ستة اساقفة في دير الزعفران عام ١٣٣٣ ونصّبوا ايوانيس مطران آمد الماردينيّ بطريركاً وسمّوه اغناطيوس اسمعيل . فعاكسه المقربان متّى حتو لانه لم يحضر رسامته وأبطل المناداة باسمه في جميع ابرشيّاته وظلّ يراجع ميخائيل بطريرك قليقية . وبعد اربعة اعوام عقد الاتفاق معه

ولمّا آثر البطريرك اسمعيل ان يورث البطريركيّة اخاه نور الدين كما ورث هو كرسيّ عمه ابن وهيب ناقضهُ الاساقفة وعاكسوه . وشبّت اذ ذاك فتنة عمياء بينه وبين سابا مطران صَلَح بطور عبدين فحرمه البطريرك اسمعيل . فانحدر اساقفة طور عبدين في جمهور من المشايخ الى ماردين يستمنحون البطريركَ العفوَ عن المطران سابا فاصرّ البطريرك على عناده . فانقلبوا الى الجبل ساخطين ونصبوا سابا بطريركاً في ٦ آب ١٣٦٤ وأيّده الملك العادل صاحب حصن زايد وسمّوه اغناطيوس وهو اوّل بطاركة طور عبدين (١ فامتعض اسمعيل من ذلك وزجّى اواخر أيّامه بالحسرات حتى قضى نحبه في ٤ حزيران ١٣٦٦ . وفي أيّامه جحد قوم من يعاقبة طور عبدين الايمان المسيحيّ ودانوا بالاسلاميّة وعُرفوا بالمحلّميّة وتبعهم نصارى رشمل وقباله ومعصرتا وغيرها . ذلك لسوء تصرّف هذا البطريرك . وكيفيّة الأمر انّهُ ادركت طور عبدين مجاعة شديدة واضطرتهم الى نقض الصوم فانفذوا كبارهم الى البطريرك يستأذنونهُ في ذلك فأبى فألحّوا في الطلب فأيسوا وتحالفوا على الاسلام فأسلموا . واستمرّ جماعة منهم ثابتين في النصرانية لكنهم مرقوا من طاعة البطريرك اسمعيل ونصبوا سابا بطريركاً كما ذكرنا

---

١) توفي عام ١٣٨٩ وخلفه اغناطيوس يشوع (+ ١٣٩٦) ثم مسعود (+ ١٤٣٠) فاحنوخ الينوردي (+ ١٤٤٥) فقوما بن جفل (+ ١٤٥٥) فيشوع الينوردي (+ ١٤٦٦) فيلكسين (+ ١٤٨٨) وخلفه البطريركان شابا العربيّ ويوحنا الجزيريّ ومات الاوّل سنة ١٤٨٩ والثاني سنة ١٤٩٣ فقام مسعود الزازي (+ ١٤٩٥) وله كتاب في السيرة الروحيّة اسمه « السفينة الروحيّة » . ثم ارتسم البطريرك شمعون سنة (١٥٠٩) فالبطريرك يعقوب سنة ١٥٥٣ فالبطريرك حبيب سنة ١٦٧٤ فيوحنان (+ ١٨٢٢) وكان في زمانه اربعة بطاركة في طور عبدين وهم يوحنان وآحا واشيا ويوسف (طالع مجلّة المشرق ١٦[١٩١٣] : ٦٦٤ و ٦٧٠)

٥٨ (اغناطيوس شهاب) هو ابن اخت البطريرك اسمعيل تولّى البطريركية عام ١٤١٢ ودُفن في دير الزعفران ورسم بهنام الحدليّ مفريانًا سنة ١٤٠٤

٥٩ (اغناطيوس ابرهيم الثاني) غريب تولّى البطريركيّة سنة ١٣٨٢ ولقي حتفهُ عام ١٤١٢ ودُفن في دير الزعفران ورسم بهنام الحدليّ مفريانًا سنة ١٤٠٤

٦٠ (اغناطيوس بهنام الاوّل) الحدليّ ارتقى الى البطريركيّة عام ١٤١٢ وأيّده حاكم ماردين ونال فرمانًا من سلاطين تركيّة يؤيّده في البطريركية. ولبهنام فضلٌ في الغاء بطريركية قيليقية والشام التي استفرقت ١٥٢ سنة. وهو الذي أوفد عبدالله اسقف الرها سنة ١٤٤٤ الى المجمع الفلورنتينيّ فقرّر امام اوجانيوس الرابع الحبر الرومانيّ خضوعه للكرسيّ الرسولي (١ والّف نافورًا رتّبه على الحروف الابجديّة وانشأ ميامر خشوعية وتوفّي في دير الزعفران عام ١٤٥٥

٦١ (اغناطيوس خلف) مطران الجزيرة سمّي بطريركًا في احد العنصرة ١٤٥٥ ولقي حتفهُ في دير الزعفران عام ١٤٨٤

٦٢ (يوحنا الثامن عشر) اختلف الماردينيّون في أمر رسامته فاصطفى قومٌ المفريانَ عزيز بن العجوز وقومٌ يوحنا بن شي الله (شيلله) الماردينيّ مطران الصور فتغلّب الحزب الثاني وارتسم ابن شي الله عام ١٤٨٤ وسمّي يوحنا الثامن عشر. وحصل بينهُ وبين المفريان خلافٌ طال سنتين وتوفّي في ١ تشرين الاوّل ١٤٩٤ ودفن في دير الزعفران

٦٣ (اغناطيوس نوح) البقوفاويّ اللبنانيّ تولّى البطريركية عام ١٤٩٤ وجعل مركزه في دير الزنّار بحمص وتوفّي في ٢٨ تموز ١٥٠٩ ودُفن في التلّ بمدينة حماة. وخلّف بعض الميامر والتصانيف السريانيّة والعربيّة

٦٤ (اغناطيوس يشوع) القلثي ارتسم سنة ١٥٠٩ وبعد سنة أُكرهَ على الاسلام فاسلم وانهزم الى قبرس وتاب توبة نصوحًا

٦٥ (اغناطيوس يعقوب الاوّل) بعد ما جحد النصرانيّة سالفهُ استدعاهُ الماردينيون من الشام ونصبوهُ بطريركًا سنة ١٥١٠ في دير الزعفران وفيه دُفن عام ١٥١٩

٦٦ (اغناطيوس داود) لم تطل مدّة بطريركيّته سوى سنتين لا غير ودُفن في

١) السلاسل التاريخيّة (ص ١١٩)

دير الزعفران سنة ١٥٢١

٦٧ (اغناطيوس عبدالله الاول) أصله من قلعة المرأة ترأس سنة ١٥٢١ وتوفي في دير الزعفران عام ١٥٥٧ وهو الذي اوفد القس موسى الصوري الى رومية فقرّر دستور ايمانه امام يوليوس الثالث الحبر الروماني واستأذنه في السفر الى ڤينّة حيث طبع عام ١٥٥٥ كتاب العيد الجديد لاول مرّة بالسريانيّة . وكان في اورشليم يومئذٍ مطران اسمه غريغوريوس يوحنا ثارت بينه وبين ابن الحديد شمّاسه ضغائن وأحقاد أفضت بالشمّاس الى ان يكتب اسم محمّد على كاغد ويلزقهُ ضمن حذاء المطران . ثم قصد اباسيفين الوالي وأسرّ اليه بذلك . فاوفد من فوره في طلب المطران واستوضحه عن الامر فأنكر بتاتاً فنتّشوا الحذاء فوجدوا الكاغد مكتوباً عليه كما قال الشماس . فحنق الوالي وأمر بالتنكيل به فأُوثق وسيق في شوارع اورشليم بين الضرب واللطم واللكم واخيراً شنقهُ واستحوذ على ديره ودير مار توما الرسول المعروف بدير العدس وابتناه جامعاً للمسلمين

٦٨ (اغناطيوس نعمة الله) الماردينيّ تولّى البطريركيّة عام ١٥٥٧ وكان بهيّ الصورة طيّب الخاطرة احبّه والي ديار بكر وكلّفه نسخ القرآن دون غلط . فنسخه البطريرك فاخذ الوالي يتصفّحه فعثر فيه على غلطة فأحضر العلماء والتلاوة فتخرّصوا على البطريرك وامروا بجزّ عمامته وتقويض كنيسته . اما الوالي فلشديد شغفه بالبطريرك وضنّاً بحياته ألبسه عمامته والتفت يقول للحضور « ها هوذا بطريرك النصارى أسلم » فحار البطريرك وفرّ الى رومية وأدّى التوبة على يد البابا غريغوريوس الثالث عشر . وكان يقصد صورة العذراء ويخرّ امامها منتحباً بالبكاء ولم يفتر من ذلك حتى فارقتهُ البتول وطيّبت قلبه بغفرة خطيئته . فصوّر مثل تلك الصورة اقراراً بفضل العذراء وارسلها الى آمد في جزء من ذخيرة عود الصليب . واخترمته المنيّة في رومية عام ١٥٧٦

٦٩ (اغناطيوس بطرس الرابع) هو داود شاه شقيق البطريرك نعمه أفضت اليه البطريركيّة عام ١٥٧٦ وتوفي في قطربّل بآمد عام ١٥٩١ واليه اوفد البابا غريغوريوس الثالث عشر سنة ١٥٨٣ سفيره السيّد ليوزد ابيلا مطران صيدا حاملاً اليه درع التثبيت آملاً ان يمتنع الكثلكة فاجاب البطريرك الى طلب الحبر الروماني ورقم صورة ايمانه وسيّرها اليه . وما زالت مصونة في المتحف الواتيكاني تحت عدد

١٦٩ غير انه ما لبث ان نكث عهده وعاد الى المنوفستيَّة وهو الذي اشترى كنيسة القبط في اورشليم واسعف الرهبان السريان القاطنين دير والدة الله في برِّية الصعيد(١

٧٠ (اغناطيوس بيلاطس) سيم بطريركاً عام ١٥٩١ وكان اصلهُ من المنصورية قرية غربيَّ ماردين وتوفي في حلب عام ١٥٩٧ . ونصب اخاه عبد الغنيّ المغربان بطريركاً سنة ١٥٩٥ لكن الشعب رفضه وتوفي البطريرك عبدالغنيّ عام ١٥٩٨

٧١ (اغناطيوس بطرس الخامس) هو من عشيرة هدايا الماردينيَّة المنتسبة الى عشيرة البطريرك نعمه . ارتقى الى البطريركيَّة عام ١٥٩٨ وتوفي عام ١٦٣٩ وسار الى اورشليم ثم عاد الى حمص وصدَّد والَّف القاموس الناقرة ورسم كاهنين احدهما من حمص والآخر من حردين

٧٢ (اغناطيوس شكرالله الاوَّل) ابن صنيعة الماردينيّ خلف سالفهُ في البطريركيَّة عام ١٦٤٠ وما كاد يستقرّ في كرسيّهِ حتى نهض المطران شمعون الطور عبدينيّ وخطف البطريركيَّة في ديار بكر ونصب من قوره عبد المسيح الرهاويّ مطراناً وقال لرؤازريه «اريد ان يخلفني هذا في البطريركيَّة» وقصد البطريرك شمعون مدينة حلب وانضمّ الى الكنيسة الرومانيَّة على يد الاباء الكبوشيين وارسل دستور ايمانه المسطور في ١٢ اذار ١٦٤١ الى البابا اوربانوس الخامس (٢ . وعام ١٦٥٣ حنق عليه المطران يشوع بن قشه الامديّ ودبَّر على نفيهِ فنُفي الى جزيرة قبرس ثم توجَّه الى بلاد الهند وانتمى في البحر عام ١٦٥٦

فخلا الجوّ لابن قشه فخرج عن طاعة البطريرك شكرالله واختلس البطريركيَّة سنة ١٦٥٥ وفي السنة ١٦٥٦ هجم الاكراد على دير الزعفران وأخربوه . فسار ابن قشه الى حلب وفيها مات سنة ١٦٦١ (٣ وتوفي البطريرك شكرالله عام ١٦٦٢ (يُتابع)

١) اطلب ما ورد عن هذين البطريركيين في المشرق (١٩[١٩٢١] : ١٣٨-١٤١)

٢) السلاسل التاريخية ص ١١٧ ومجلَّة المشرق (٣[١٩٠٠] : ٩١٥)

٣) بعد وفاة البطريرك يشوع نُصب السيد اغناطيوس اندراوس اخيجان الماردينيّ بطريركاً في حلب للسريان جميعاً في ٣٠ آب ١٦٦٢ بوضع يد مكاريوس بطريرك الملكيين وهو اوَّل بطاركة السريان الكاثوليك [الجزء الاوَّل من الآثار الخطيَّة للاب انطون رباط ٦٦٥ و ٦٦٦] وكان لقبهُ بطريرك السريان واليعاقبة وهذا الاسم زال ببراءة السلطانيَّة من محمد الرابع في ٢١ كانون الثاني ١٦٦٤ [اطلب السلاسل التاريخية ص ١٨٧—١٩٦]

الجليد الاصطناعي

بقلم الاب رفائيل نخله البسوعي

من المعلوم ان الجليد الطبيعي لا يوجد في كل الامكنة ولا في كل فصول السنة مع حاجة الناس اليهِ في احوال عديدة ، مثلاً في معالجة بعض المرضى وتخفيف آلامهم وفي استحضار المرطبات اللذيذة اثناء الصيف وحمارَّة قيظهِ ، وكذلك في صناعات شتَّى لا مجال هنا لذكرها . كل ذلك يقتضي كمّيات كبيرة من الجليد وهيهات ان تفي الطبيعة وحدها بما يتطلبه الانسان في هذا الشأن ومن ثمَّ قد التجأوا لسدّ هذا الخلل الى الجليد الاصطناعي . كفى شاهداً على ذلك ان الولايات المتحدة كانت تهيّئ من نحو عشرين سنة اربعة ملايين وخمسمائة الف طُنّ من الجليد الاصطناعي في السنة ، فبيع الطنّ منهُ في نيويورك باحد عشر فرنكاً ليس الّا ! ذلك فضلاً عن كون الجليد الطبيعي الذي يكسو بردائهِ الكثيف قممَ الجبال لا يصلح في كثير من الظروف للامتزاج بالمشروبات فانهُ يحتري على موادّ غير الماء تؤذي شاربها

فلا غرو والحالة هذه ان قد شحذ العلماء والخبراء قرائحهم من عهد عهيد لايجاد طرائق سهلة وقليلة النفقة لاصطناع الجليد بمقادير عظيمة . فذهبوا في ذلك مذاهب شتى نكتفي هنا بذكر مبدإها ووصف بعض تطبيقاته

١ اصطناع الجليد

من اغرب الامور التي تكاد تخرج عن حدود التصديق ان الجليد يُصطنع بواسطة الحرارة ! اليك بيان ذلك بالايجاز : من الشائع ان سطح المائع يتبخّر وان هذا التبخّر يزداد مع ارتفاع درجة حرارة الهواء المحيط به وسرعة تبدّل ذلك الهواء . ومعلوم انَّ التبخُّر يتوقّف على انفصال وانحلال دقائق المائع بحيث تتحول الى الحالة الغازيّة فلا بُدّ من صدور قوةٍ للقيام بهذا العمل الميكانيكي . والمصدر هنا هو ذاتُ حرارةِ المائع وظَرْفهِ . فيترتب على ذلك ان التبخّر يُبرّد كثيراً المادّة

المتبخِّرة ومحيطها، هذا مبدأ كل آلات التبريد بل عليه يستند اصطناع الجليد

وقبل الخوض في هذا الموضوع الاخيرَ فلنضرب مثلين على صحَّة النظرية السابقة. لا يخفى ان القُلَل والآنية الخزفيَّة الجاري استعمالها في كل انحاء الشرق تبرِّد الماء ولا سيما اثناء الصيف. وما سبب ذلك سوى تبخُّر الماء ليس فقط من سطحه المعروض للهواء بل من كل جوانبه الملامسة لداخل القُلَّة وهذا بواسطة آلاف من مسامّ الصلصال. فلو صيغت القُلَّة من معدن آخر ايًّا كان او من الزجاج نفسه لَمَا وفت بالمراد لعدم وجود المسامّ المشار اليها. من المعلوم ايضاً ان تحريك المراوح يلطِّف ألم الحرّ الشديد وما ذاك الَّا بسبب تبديل الهواء المحيط بالوجه فينجم عن ذلك التبديل زيادة سرعة تبخر العرَق واخيرًا برودةُ الوجه ذاته

فهمتَ ممَّا سبق ان تبخر المواتع وما يُنتجه من نقصان الحرارة هو ركن اصطناع الجليد. فايّ المواتع يا تُرى اختاره الباحثون لتلك الغاية؟ قد اختاروا طبعاً المواتع التي بتبخرها تُحدِث البرد الاشدَّ وهي مع ذلك معتدلة الاثمان. وقد اشتهر بينها حاضرًا الحامض الكبريتي (acide sulfureux) والحامض الفحمي (ac. carbonique) وكلورور المثيل (chlorure de méthyle) والهواء المائع ولاسيما النشادر

انَّما الجهاز المستخدَم لاصطناع الجليد ففيه ثلاثة آلات جوهرية - الاولى تدعى الضاغطة وهي التي تضغط بغاية الشدة على احدى الموادّ السابقة الذكر وهي في الحالة الغازية فتحوّلها الى مائع في الآلة الثانية واسمها المُكثِّفة (condenseur). ثم ينتقل ذلك المائع الى الآلة الثالثة المدعوّة المبرِّدة (réfrigérant) حيث الضغط قليل جدًّا فيتبخر في الحال المائع الوارد اليها ويُحدِث كما سبق التفسير بردًا شديدًا فيها وفي كل ما جاورها. ثم تنتقل مضخَّةُ البخارَ المشار اليه الى الآلة الضاغطة فتتكرَّر العمليَّات الثلاث التي شرحناها وهلمَّ جرًّا. انَّما الآلة المبرِّدة فانها غاطسة في مائع غير قابل التجميد يخزن البردَ القارس الناجم عن تبخر المائع الآخر الآنف الذكر ثم ينقله بواسطة انابيب الى الاوعية المعدنية المراد تجميد مائها. وهذا التجميد بطيء في الغالب ومدَّتهُ مترتبة طبعاً على ضخامة قطع الجليد المطلوب صنعها. مثال ذلك ان القطعة البالغ وزنها خمسين كيلوغراماً وسمكها عشرة سنتيمترات يقتضي تبريدُها ٢٦ ساعة،

والتي وزنها سبعون كيلوغراماً وسمكها ١٥ سنتيمترات تستلزم ٣٠ ساعة، واخيراً التي وزنها نحو مائة كيلوغرام لا تجمد في اقلّ من ٤٠ ساعة

وربّما لاحظ القراء الكرام ان الجليد المبيع في الاسواق ليس شفافاً في كل اجزائه وذلك بسبب توسّط آلاف من فقاقيع الهواء بين دقائق الماء المبرّد. فلو أزيلت تلك بتقطير الماء كان الجليد كامل الشفوف على شرط ألّا يتعدّى سمكهُ نحو عشرين سنتيمترًا

ومتى صُنعت كميّات كبيرة من كُتل الجليد لزم حفظها على حالتها لئلّا تذوب شيئاً فشيئاً فيذهب عناء اصطناعها ونفقتُهُ ادراج الرياح. فلهذه الغاية تُجعل تلك الكتل في مستودعات فسيحة لا ينقص البرد فيها عن نحو عشر درجات تحت الصفر. فعلى هذا المنوال تبقى الكتل كما هي اشهرًا متوالية !

٢ بعض فوائد الجليد الاصطناعي

لضيق المقام نضرب هنا صفحاً عن الفوائد المعروفة لدى القاصي والداني ونجتزئ بذكر اشهرها وهو تقريباً في حكم المجهول بشرقنا العزيز . والفائدة الاولى حفظ الموادّ الغذائية ولاسيما اللحوم والفواكه سليمةً من التعفن. لهذا الغرض تُجعل تلك الموادّ الى حين بيعها في داخل البلاد او تصديرها الى الخارج في مخازن باردة الهواء فتبقى فيها اشهرًا كاملة بدون ادنى فساد وان لم تُحَطْ بكتل من الجليد. امّا تبريد هواء المخازن فيجري عادةً على احدى هاتين الطريقتين : الاولى ان يتبخر الماء المستخدم للتبريد في انابيب عديدة كثيرة الالتواء محيطة بجدران المخزن . الثانية ان يتبخر هذا الماء حول مستودع من الهواء فتبرد هذا برداً كافياً انتشر في الانابيب على الصيغة المذكورة قبلًا . يحسُن بنا الملاحظة ان بين هذين الاسلوبين والطريقة المعروفة بالتدفئة المركزية (chauffage central) الشائعة اليوم في كل البلاد الراقية شبهاً واضحاً . وذلك بان يُجروا الماء المسخّن في انابيب تحدق بالغرفة المراد تدفئتها فيكفي ان يُبرم مفتاح بالقدر المناسب للحصول على درجة الحرارة المرغوبة . وفي ذلك من الراحة والنظافة والسرعة ما أشاع هذه الطريقة . امّا نعتها بالمركزية فلأنّ مركز تدفئة الدار بكاملها واقعٌ في الطابق الاسفل على سواء الحضيض حيث تركز

مراجل الماء مع كل ما يلزم لتسخينها

فلنعد بعد هذا الاستطراد المفيد الى حفظ الموادّ الغذائية بواسطة الهواء المجمّد.

لقد نالت الولايات المتحدة وارجنتين واُوستراليا وزيلندة الجديدة قصب السبق على سواها في هذا الميدان. فاستطاعت على هذا النسق ان تُصدر الى الخارج كمّيات هائلة من الموادّ الغذائيّة لاسبيل لبيعها في داخل البلاد ولولا الطريقة المشار اليها لكسدت سوقها وحصل بكسادها خسائر فادحة. امّا الآن فانّ تلك الموادّ تُنقل الى كل انحاء اوربّة بل الى اقاصي الشرق ولا تمسّها آفةٌ في سَفراتها الطويلة. وان كان السفر قصيراً، مثلاً من اميركة الشمالية الى انكلترة، فيكفي تبريد اللحوم الى نحو درجتين تحت الصفر وذلك في مثالج شائعة الاستعمال حاضراً في القطارات والبواخر. امّا اذا كان السفر طويلاً، من اميركة الجنوبية مثلاً او من اوسترالية الى اوربة او شمال افريقية، فلا بُدّ من تجميد اللحوم. فمتى وصلت الى محلّ استهلاكها أُزيل تجميدها وهي عمليّة دقيقة لا يُحكمها الّا اهلها. فبعد ذلك لا يستطيع احدٌ، مهما رقّ ذوقه، تمييز لحم البقر او الضأن المذبوح منذ اشهر من اللحم البسيط الحديث الذبح. ولمّا كان الانكليز يُكثرون من اكل اللحوم على اختلاف انواعها فلا عجب انهم يشترون كل عام مقادير عظيمة من اللحوم المجمّدة الواردة اليهم من اميركة واوسترالية وزيلندة الجديدة. ففي ١٩٠٢ مثلاً قد ابتاعوا ٧،٢٠٠،٠٠٠ ضائن مجمّد. وكفى شاهداً على اهمية هذه التجارة عدد البواخر المختصة بها المجهّزة بكل ما يلزم لها وقد كان في اواخر ١٩٠٢ عددها ١٤٧ وبعض تلك السفن يسع ١٣٠،٠٠٠ ضائن!

ومن نحو ثلاثين عاماً حمل جيشٌ جرّار من الارانب حملةً شديدة على مراعي اوسترالية فاتخذت الحكومة لمقاومتها تدابير اسفرت عن قتل ملايين من تلك الحيوانات المفيدة في موتها اكثر منها في حياتها. ولكن مَن يشتري هناك تلك الكمية الهائلة من الارانب حتّى لو امكن بيعها بالبخس الاثمان؟ فتفادياً من هذين المحذورين باعت اوسترالية تلك الملايين من الارانب المجمّدة من بريطانية العظمى فربحت هكذا ربحاً عظيماً

ليست لحومُ الأنعام الموادّ الغذائيّة الوحيدة التي يمكن نقلها مجمّدة الى الاقطار الشاسعة بل يُستطاع ذلك ايضاً في الاسماك والفواكه والزبدة الى غير ذلك مما يطول

تعداده . من المعلوم مثلاً ان كميات وافرة من زبدة كندة وزيلندة الجديدة تُباع يومياً في اسواق لندن . ومثلها زبدة سيبرية تباع في اسواق اوربة بعد ورودها من اواسط آسية على ظهر القطار المعروف باسم قاطع سيبرية (Transsibérien)

اخيراً ان تجارة المواد الغذائية المقرَّسة او المجمَّدة ليست محصورة في التصدير الى الخارج بل هي واسعة النطاق ايضاً في المعاملات الداخلية بين مدينة ومدينة مثلاً . دليل ذلك انه كان لالمانية حول ١٩٠٢ نحو ٢٦٦ مَجزراً تُقرَّس فيها اللحوم . ويمكن ايراد امثلة اخرى عديدة من هذا القبيل

لا بأس من ختم هذه المقالة هنا . على اننا نرى لذةً جديدة في اطلاع القارئ على تطبيق آخر ظريف للجليد الاصطناعي ، نعني ميادين الزلق الاصطناعية (pistes de patinage) المعروفة في بعض العواصم الكبرى باسم قصور الجليد (palais de glace) وقد بلغ اقبال الجمهور عليها بما لم يكن في الحسبان

فلاستحضار تلك الميادين يُشرع باصطناع ارضية (plancher) من الخشب قادرة على حمل عدد معلوم من الناس . ومن تحتها تُركَّز انابيب التقريس الناقلة المائع لا ينقص برده عن نحو ٧ درجات تحت الصفر ، وهو الذي يجمِّد طبقة الماء المصبوب على الارضية . فمتى جُمدت جرى الناس عليها بالمزالق المعروفة (patins) . اما تجميد الماء فيقتضي من نحو يوم الى ثلاثة ايام فما فوق وفقاً لاتساع الميدان . فذكر على سبيل المثل قصر الجليد بباريس فان مساحته تبلغ ٩٠٠ متر مربع ، ومساحة نديه بليون ١٢٠٠ متر

***

ذاك ما رأينا عرضه على قراء المشرق في شأن الجليد الاصطناعي . ولا مغالاة في قولنا انه من طرائف العلم العصري فانه غريب في مبداه واغرب من ذلك في تطبيقاته المتنوعة وغير المتوقعة التي كان لها تأثير عظيم على مجرى التجارة بين اقطار العالم وفي داخل كلٍّ منها .

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

حرف الغين

٥٧٤ ﴿غالوزي﴾ هو الاب فرنسوا اليسوعي (Fr. Galluzzi) المتوفى سنة ١٧٣١ . عرّب لهُ الخوري يوسف البستاني كتابهُ التحفة السدريّة في مناقب القديس لويس غنزاغا السنيّة . طُبع سنة ١٨٧٠ . ولهُ تسعة تأمّلات في مار انطونيوس الكبير عرّبها القس اندراوس اسكندر نسخةٌ منها في دير كفيفان اصلح عربيّتها القس نعمة الله الكفري . وقد طبعهُ القس افرام الديراني في كتابهِ العيشة الهنيئة (ص ٧١)

٥٧٥ ﴿غبريال ساويرس﴾ او النافيري هو مطرانوبوليت فيلادلفية المتوطن البندقيّة وصاحب عدّة تآليف دينيّة في اللغة اليونانيّة عاش في اواخر القرن السادس عشر (Lequien, Or. Chr. I,873) . ذكر البطريرك الانطاكي مكاريوس زعيم الحلبي انهُ اخرج لهُ من اليونانيّة الى العربيّة كتابهُ في الطقوس وكلندار السنة الذي كان اجتهد في جمعهِ ٣٥ سنة . منهُ نسخة في مكتبة باريس (Paris, Mss. 5084) وفي دير مار الياس رشيًّا للرهبان الروم الملكيين

٥٧٦ ﴿غرادينيغو﴾ امبروسيوس البندقيّ الراهب البندكتي المتوفى سنة ١٧٧٤ . وجدنا لهُ في حلب في مكتبتي الوارنة (ع ٤٦٧) والروم الكاثوليك كتابهُ المعنون بالفرَق والرذائل . وفي مكتبتنا الشرقيّة نسخة من كتاب آخر لهُ سمّاهُ زهر الفضائل في ٤١ فصلًا يبتدئ بذكر فضيلة المحبّة

٥٧٧ ﴿غروتيوس﴾ الهولندي (Hughes Van Groot) المتوفى سنة ١٦٤٥ . وقفنا في لندن على نسخة مخطوطة من كتابهِ «في حجة الشريعة المسيحية» عرّبهُ المستشرق ادورد بوكوك (E. Pocock) عن اللاتينيّة . وقد طُبع هذا الكتاب في مدينة هالة سنة ١٧٣٥

٥٧٧ ﴿غريغوريوس الكبير﴾ هو البابا القديس المتوفى سنة ٦٠٤ (اطلب ترجمتهُ في المشرق٧[١٩٠٤] : ٩٨٧–٩٩٨) : لهُ في مكتبة الوارنة في حلب تعريب محاوراته النفيسة . ترقى النسخة الى القرن الثامن عشر . وفي مكتبة الروم الكاثوليك في حلب ايضاً مسائل بطرس الى غريغوريوس البابا مع الجواب عليها . وهي نسخة جميلة فصيحة الانشاء من القرن السابع عشر

٥٧٨ ﴿غريغوريوس المنوّر﴾ هو رسول الارمن القديس في القرن الرابع للمسيح . قد باع مؤخرًا الكتبيّ هيرسمان (Hiersemann, *Cat.* 500, n° 12) مخطوطاً عربياً على رقّ راقٍ الى القرن الحادي عشر يتضمّن ترجمة القديس غريغوريوس المنوّر بالعربية لم يُذكر مؤلّفها

٥٧٩ ﴿غريغوريوس النزيزي﴾ القديس المعروف بالثاولوغوس المتوفى سنة ٣٨٩ . تآليفهُ باليونانيّة عديدة تجدها في مجموع الآباء اليونان لمين وقد نُقل كثير منها الى السريانيّة والعربيّة . ومما يوجد لهُ معرّباً بين مخطوطات المكاتب : ١ عدّة ميامر يبلغ عددها في بعض المكاتب ١٦ ميمراً وفي غيرها ٣٠ بل في بعضها الى نحو المئة . منها نسخ في مكتبة الفاتيكان في رومية . وفي مكتبتنا الشرقية وفي مكتبة جامعة الاميركان في بيروت وفي مكتبة الثلثة الاقمار (تاريخها سنة ١٨٢١) وفي مكتبة كمبردج (Wright, II, 960) وقد ذكرها ابو البركات في قانتهِ فعدّد منها ٣٠ ميمراً . ٢ مقالات القديس غريغوريوس اللاهوتي . مجلّد ضخم في نحو ١٠٠٠ صفحة ناقص اوّلهُ في مكتبة المسيو جرجس شلحت في حلب . والمرجّح انّ تعريب الميامر والمقالات المذكورة لعبدالله بن الفضل الانطاكي في اواسط القرن الحادي عشر . ٣ مسائل القديسين غريغوريوس وباسيليوس في مكتبتنا الشرقية منها نسختان . وفي بيت الشمّاس شكري أيوب في حلب نسخة اخرى تاريخها سنة ١٧٨٢ . ٤ رؤيا مار غريغوريوس وما شاهدهُ في السماء والجحيم . لعلّهُ كتاب مصنوع . منهُ ثلاث نسخ في مكتبتنا الشرقيّة طُبع في مصر . ٥ تسبحة القديس المعروفة بالتريزاغيون وشرح المفريان شمعون الطوراني على مقالة القديس غريغوريوس فيها . منها نسخة في مكتبتنا الشرقيّة منقولة عن نسخة دير الشرفة . ٦ تفسير ما قالهُ القديس غريغوريوس الثاولوغوس لتلميذهِ مار افرام . منهُ نسخة في بعض مجاميع مكتبتنا الشرقيّة . ونظنّهُ مصنوعاً .

٧ رسالة للقديس غريغوريوس في تشبه الانسان بطبائع الحيوان ويُدعى ايضاً «الفاظ القديس غريغوريوس عن الاشياء المخلوقة» منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقية ونسخة في بيت الوجيه نقولا التويني. وقد نشر عيسى افندي اسكندر المعلوف هذه المقالة في مجلّة النعمة (٣: ١٩٢ و٢٧٣) مع بعض اصلاحات. وهذه المقالة ايضاً مصنوعة لا ذكر لها بين اعمال القديس غريغوريوس اليونانيّة

٥٨٠ ﴿ غريغوريوس النوسي او النيصصي ﴾ هو القديس غريغوريوس اسقف نيصص واخو القديس باسيليوس المتوفى سنة ٤٠٠ م. ذكرهُ ابو البركات بن كبر في قائمةٍ معدّدًا سبعةً من كتبهِ (ص ٦٨٠ Riedel). ومما عرّبهُ لهُ عبدالله بن الفضل الانطاكي وغيرهُ: ١ تفسيرهُ لنشيد الانشاد. منهُ نسخ في مكتبة مدرسة الصلاحيّة للاباء البيض وفي مكتبتنا الشرقيّة وفي مكتبتَيْ دير الشرفة ودير الشير (بخط الاخ توما قبّاش سنة ١٨٣٨). ٢ تفسيرهُ لحكمة سليمان. منهُ نسخة في دير الشرفة. ٣ وفيها تفسير سفر الجامعة ترجمهُ الطران وفائيل طوخي. ٤ شرح عنوانات المزامير نسخة مخطوطة في مكتبة المرانة في حلب اوقفها عليها احد تجّار الانكليز المستر شرمَن تلميذ التولوي سنة ١٧٣٤. ٥ كتاب خلقة الانسان وهو تتمّة كتاب الاكسيرون الذي وضعهُ اخوهُ القديس باسيليوس سنة ٣٥٦٠ للعالم (١٥٠٢ م). منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقية الواحدة قديمة وهو على ما نظنّ الرسالة في تفسير الخليقة التي وجّهها الى اخيهِ بطرس وذكرها ابو البركات. ومنهُ نسخة في مجمع انتشار الايمان عنوانها الاحتجاج عن الخليقة. ٦ كتاب الفردوس العقلي منهُ عدّة نسخ: اثنتان في مكتبة المرانة في حلب. واثنتان في مكتبتنا الشرقيّة. واثنتان في مكتبة القس بولس سباط (ROC, 1920-21 nos 3 et 22). ونسخة في مكتبة الروم في حلب وفي مكتبة دير الشرفة وقد وصف المرحوم الدكتور فون روزن (Von Rosen) نسخة بطرسبورج وصفاً واسعاً (Mss de l'Institut des Langues Orientales, n° 233). ٧ كتاب مختصر كنز الاسرار في مكتبة مجمع انتشار الايمان برومية يقال فيهِ «نُقل الى العربيّة برومية الكبرى كتبهُ مكاريوس مطران دمشق في دير يسوع المخلّص سنة ١٧٢٦. ٨ كتاب الابواب في صفة طبيعة الانسان ترجمهُ من اليونانيّة الى العربيّة حنين بن اسحاق المتطبب وعدّتهُ ٢٣ باباً.

ذكرهُ ابو البركات . ٩ً مديح القديس غريغوريوس للقديس افرام ، منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة تاريخها سنة ٣١٢ ه ١٢١٥م . وقد نشرنا هذا المديح في المشرق (١٩ [١٩٢١]: ٥٠٣و٥٠٦) . ١٠ً قداس السرائر للابن (كذا) ذكرهُ ابو البركات ص ٦٤١) . ١١ً كتاب ايساغوجي وهو المدخل الى قاطيغورياس يفيد في تفسير المعاني وتفهيم اصول العقيدة التي عليها أسست المباني (فيهِ ايضاً)

٥٨١ ﴿غريغوريوس الحبشي﴾ قد وجدنا لهُ في سياحتنا الى صيدنايا سنة ١٩٠٦ في دير راهبات الروم كتاباً عنوانهُ «مجادلة القديس غريغوريوس رئيس اساقفة مدينة كرسي الحبشة المدعوَّة كيفرا مع واحد عبراني» وغريغوريوس هذا هو على ما يظهر رسول اليمن المعروف بجرجانيوس (راجع المشرق ٩ [١٩٠٦]: ١٠٥١) الذي كان في القرن السادس للمسيح وقد ذكرناهُ وذكرنا جدالهُ مع هربان الرُّباني في كتابنا «النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة» (ص ٦٤—٦٥، ٣٢٩، ٣٦٩)

٥٨٢ ﴿غرينيون دي مونفور﴾ هو الطوباوي لويس ماريًا المتوفى سنة ١٧١٦ . عرَّب لهُ المرحوم الاب ادوار سلزاني اليسوعي كتابهُ «العبادة الحقيقيَّة نحو مريم البتول الامّ الالهيَّة» فطبعهُ سنة ١٩٠٥ . وهذا الكتاب تصرَّف فيهِ الطيب الذكر المطران يوسف دريان فقسمهُ فصولاً على عدد ايَّام الشهر المريمي ودعاهُ عبادة الشهر المريمي او تأمُّلات شهر أيَّار وشهر تشرين

٥٨٣ ﴿الغزّي﴾ هو الشيخ سليمان بن حسن اسقف غزَّة الملكيّ بعد ارتدادهِ عن الاسلام في القرن الرابع عشر . ذكر عيسى افندي اسكندر المعلوف ترجمتهُ وبعض قصائدهِ وقال انهُ مات شهيدًا (النعمة ١: ٦١٩و٦٥٨) : ١ً لهذا الشيخ المتنصِّر ديوان شعر واسع وقصائد حسنة في مواضيع دينيَّة وادبيَّة . منهُ خمس نسخ في مكتبتنا الشرقيَّة ترقى الواحدة الى القرن السادس عشر . ومنهُ ايضاً نسخ شتى في مكتبة القبر المقدس في القدس الشريف وفي دير المخلص وفي مكتبة بطريركيَّة الروم في دمشق وفي مكتبة القس بولس سباط (ROC, XVIII, n° 89) . ٢ً لهُ عند حضرة الخوري قسطنطين الباشا وفي حلب عند المنسيور جرجس منش رسائل وردود على المخالفين للامانة المستقيمة وعلى المراطقة كآريوس واوطيخا ونسطور ويعقوب البرادعي وساويرس . ٣ً ولهُ عندهما مقالات في وحدانيَّة الخالق وفي التجسُّد

والصلب وفي الانسان والعالم. وبعض فصولها مسجعة. منها نسخة في مكتبتي الروم البطريركيتين في دمشق والقدس. ٤ وله في مجموعة الاب قسطنطين الباشا مسائل وأجوبة. ناسخها صفرونيوس بن موسى الطرابلسي ابن الحاج سليمان الطرابلسي البقوني الاصل سنة ٧١٥٢ للعالم (١٦٤٤م)

٥٨٤ ﴿غضبان﴾ هو الياس الحلبي الرومي الكاثوليكي. الّف كتاب رحلته الى زيارة القدس الشريف سنة ١٧٥٥ فوصف مزارات الامكنة المقدسة واخبار سفره منهُ نسخة حسنة في مكتبتنا الشرقية

٥٨٥ ﴿غزالس﴾ هو الاب ترس غزالس (Tyrse Gonzalès) رئيس الرهبانية اليسوعية العام المتوفى سنة ١٧٠٥ له كتاب تفنيد الشيعة ومعتقدات الاسلام عرّبهُ في رومية احد المسيحيين سنة ١٧٢٤ وهو اليوم في مكتبة البروبغندا وقد طُبع اصلهُ اللاتيني سنة ١٦٨٩

٥٨٦ ﴿غوادنيرلي﴾ ويقال كوادانولس (Guadagnoli) هو الاب فيلبّوس الراهب الفرنسيسي المتوفى في رومية سنة ١٦٥٦. له ١ ردّ على احمد زين العابدين الذي كان حاول تفنيد كتاب الاب جيروم كسائيه اليسوعي في اثبات الدين المسيحي المعنون «مرآة مُريئة الحق» فدعا تفنيده «صاقل المرآة» فقام الاب غوادنيرلي معارضاً لاحمد زين الدين ومدافعاً عن تأليف الاب اليسوعي بكتاب دعاهُ «اجابة القسيس الحقير كوادانولس الى احمد الشريف بن زين العابدين الفارسي الاصبهاني» وطبعهُ في رومية سنة ١٦٣٧ تحت مراقبة يوسف البعقليني ثمّ جدّد طبعهُ سنة ١٦٤٩ تحت هذا العنوان «براهين مختلفة فيما هو لشريعة الله بالحق». ولغوادنيرلي ايضاً كتاب في قواعد اللغة العربية باللغة اللاتينية طُبع في رومية على يد الشماس يوسف البلوقيني من عيلة بيت هلال في جبل لبنان في مطبعة داود قمر (Luna) الماروني سنة ١٦٤٢

٥٨٧ ﴿غوبينت﴾ الاستاذ كرلوس غوبينت (Gobinet) من اساتذة مجمع سُربونا المتوفى في باريس سنة ١٦٠٠. في مكتبتنا الشرقية نسخة مخطوطة من كتابه «ارشاد الاحداث منذ الصبوّة والشبوبيّة في منهج التقوى المسيحيّة» في خمسة اجزاء. صفحاتهُ ٥٩٢ علّقهُ بيده الياس بن يوسف انطون خليل الصبّاغ بحلب سنة ١٨٥٧. منهُ نسخة اخرى في بيت الشمّاس الاديب شكري أيوب في الشهبا. وقد طُبع

الآباء الفرنسيسيُّون هذا الكتاب في القدس سنة ١٨٧٩

٥٨٨ ﴿غودَنسيو بنفيلي﴾ (G. Bonfigli) من ماتيليكة الراهب الفرنسيسي والقاصد الرسولي في سوريَّة ثم في مصر المتوفَّى سنة ١٩٠٤ (اطلب المشرق ١٢ [١٩٠٩] : ١٧) . نشر في مطبعة رهبانيَّته في القدس الشريف سنة ١٨٧٥ ملخَّص حياة القديس لويس غنزاغا اليسوعي وكتاب مختصر الغفران الشهير بغفران مار فرنسيس (١٨٦٤) وله غراماطيق عربي في اللغة الايطاليَّة طُبع مرَّتين (١٨٦٨ و١٨٧٩)

٥٨٩ ﴿غوري﴾ الاب يوحنَّا اليسوعيّ واللاهوتي البارع المتوفَّى سنة ١٨٦٧ . لهُ كتابهُ الشهير الذي عنوانهُ مختصر اللاهوت الادبي . عرَّبهُ من اللاتينيَّة اوَّلًا الخوري يوسف البستاني منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة . ثمَّ عُني بتعريبهِ قبل استقيَّتهِ المطران يوحنَّا حبيب منشئ جماعة المرسلين الكرمليِّين . وقد طُبعت هذه الترجمة في جزئين في المطبعة العموميَّة الكاثوليكيَّة (١٨٧٩–١٨٨٢) . ولهُ الفتاوى على كتابهِ اللاهوت الادبيّ في جزئين عرَّبهما ايضاً الخوري يوسف البستاني ثم الاب دوناتوس (عطاالله) قرنيه اليسوعي ومن كلا التعريبين نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة

٥٩٠ ﴿غرم﴾ هو الكاهن الفرنسوي حنا جوزف المتوفَّى سنة ١٨٧١ صاحب تآليف عديدة . عرَّب له الخوري يوسف العلَم كتابهُ المعنون بقداسة الكاهن فطبعهُ بالمطبعة العموميَّة سنة ١٨٧٥

٥٩١ ﴿غويدو﴾ مطران مدينة والنسة في فرنسة وكاروز الملك في القرن السابع عشر لهُ في احد مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة ثماني مواعظ عرَّبها الاب اغناطيوس كليسون اليسوعي المرسل في حلب

٥٩٢ ﴿غينار﴾ او كينار الاب انطون اليسوعي (A. Geynard) كان في القرن الثامن عشر توفي سنة ١٧٨٠ . وجدنا لهُ : ١ً في غزير عند الخوري بطرس حبيش كتاباً بالمًا ٢٠٠ صفحة في التربة نظم فيهِ اقوال داود في مزاميره ومنهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة عنوانها كتاب بستان الحياة وسبيل مُهدي الخطاة . ٢ً وفي دير راهبات الزيارة في عينطورا نسخة من تعريبهِ لكتاب القديس فرنسيس سالازيوس عن سيرة الراهبات . ٣ً ولهُ هناك رسالة في الطاعة الرهبانيَّة كتبها سنة ١٧٤٧ . ٤ً وفي ديرهنَّ ايضاً ترجمة جوابات القديسة صنة فرنسيسكا دي شنتال الى بناتها عن

القوانين. ٥ وفيه ايضاً تعريب رياضات الاب بوردالو الواعظ اليسوعي سنة ١٧٥٨ .
٦ ولعلّهُ هو ايضاً الذي عرّب قوانين القديس اغوسطينوس الذي عندهنّ وقد طُبع سنة ١٩٠٩ في المطبعة اللبنانيّة (جسر بيروت)

٥٩٣ ﴿ غيتون ﴾ الاب رينه اليسوعي (R. Guitton) المتوفّى سنة ١٩١٠ . عرّب حضرة الخوري بطرس ابو زيد تأليفهُ المعنون كتاب العفاف الى الشبيبة والناشئة المسيحية وطبعهُ في مطبعة حريصا سنة ١٩٢٠ (لهُ تابع)

كيف يجب أن أقضي يومي؟

فوائد صحّيّة اخلاقيّة اجتماعيّة (١)

للحكيم امين الجبّل

من الحقائق الاوّليّة انّ قيمة الشيء تُقاس على قدر شأنهِ ونفعهِ فليس اعتبارنا للرصاص اعتبارنا للفضّة ولا تقديرنا للدرهم كتقديرنا للدينار. كنتُ معجباً في حداثتي بحكيم من عظماء لبنان فأمعن النظر في اعمالهِ وتدقيقهِ في تسطير امورهِ فممّا قال لي: «اعلم يا بُنيّ انّ ما توازي قيمتُهُ غطّة القلم الجديد بالاعتبار والتحرير» . فما قولنا بعد هذا عمّا تساوي قيمتُهُ الدنيا بل كُلّ السماء نفسها ألا وهو الزمان

انّ الزمان لمن اكبر نِعَم الله على البشر! هو الذي يمكّننا من تمجيدهِ تعالى ونفع خلائقهِ في كلّ ساعات الحياة. لولاهُ لما استطعنا تنوير عقلنا بالعلوم وتهذيب نفسنا بالصلاح والتمتّع بآونة الرفاهية والهناء. بفضلهِ نصعد خطوةً خطوةً سُلّم الكمال حتى بلوغ الغاية

على انّ ذاك الكنز الثمين المُعطى للعاملين لا يمكن استثمارهُ الّا اذا رُوعيت نواميسهُ على مثال الاشياء الثمينة التي لا يزيغ المرء عن قوانينها الّا ضلّ السبيل كما

١) هي المحاضرة التي القاها في نادي اخوّية القديس يوسف بحضور جمّة الاكليروس وكثيرين من الاعيان والاخوان

انَّ القطار اذا حاد عن خطته تحطَّم وحطَّم . فالانسان الذي في استخدام وقته لا يُحسن مراعاة نواميسه يتيه ابدًا في فيافي الجهل والضجر والخمول ثمَّ يهوي الى دركات الذلّ بل الى هوَّة الشرّ او بالحري الى هوَّة الموت والهلاك وقد صحّ القول القائل : «من يقتل الوقتَ عمدًا او جهلًا يقتلهُ الوقتُ حتمًا»

انَّ الوقت قد جُعل للعمل ولا يخرج من حكم العمل زمنُ الاستراحة فانها في نظرنا عملٌ او بالحري «لا عمل» وهو لازم للعمل كما سترى

والعمل شروطهُ وسُبلهُ وغايتهُ وتقسيمهُ يستطاع في دقيقة منهُ رُبح الأجر العظيم او على عكس ذلك اجتراحُ الفعل الاثيم . وقد ورد في الانجيل : «لا يضيع أجرُ كأس ماء بارد يُعطى باسم الربّ» كما جاء فيهِ : كلّ كلمة بطَّالة يُؤدَّى عنها الحساب يوم الدين

فتنظيم الوقت ومراعاة نواميس العمل في ساعاته ذلك ما اخترتُهُ كموضوع خطابي اليكم في هذا المساء . وقد عوَّلتُ على اتخاذ وَحدة الزمان اي «اليوم» في اكثر الاحوال للنظر في ترتيبهِ وإعدادهِ للعمل

١ تنظيم النهار — النهوض من النوم

كيف انظِّم يومي ؟ واوَّلًا متى انهض من رقادي ؟

باكرًا باكرًا ! وليكن نهوضك سريعاً وتامًّا . فما أصدق القائل : نومة الضُحى تقطع الرزق . وحبَّذا النشاط وفوائدهُ فكلٌّ يعلم كم يحلو العمل في ساعةٍ يصفو فيها الفكر ويسود الهدوء ويقلّ الضوضاء . ولو قُدّر لبلدٍ التمادي في نوم الصباح لحظَّرناهُ على اهل هذه البلاد اذ ليس لنا للهمَّة على العمل ولإجادتهِ الّا ساعات الصباح قبل اشتداد الحرّ الذي يهدم القوى الجسديَّة والمعنوية معاً . لذلك يا هذا في عالم الخلق السيادة والتقدُّم فكيف تجيز لنفسك ان تسبقك الشمس والطيور وسائر الحيوانات الى تمجيد خالقها والقيام بمهمَّتها ؟

ربَّما ادهشنا ما يأتيهِ الرهبان والراهبات كالآباء اللعازريين واليسوعيين واخوة المدارس المسيحيَّة وراهبات المحبَّة وغيرهنَّ من الاعمال الخطيرة في نهارهم ولعلَّ بعض السرّ في ذلك قيامهم الباكر للصلاة ثمَّ لمناولة اشغالهم دون تريُّث . فهذه راهبات المحبَّة

في مأوى السلّ في بجنس وفي مستشفى بيروت وفي مياتهنّ وسائر اديارهنّ تراهنّ ينهضنّ للعمل منذ الساعة الرابعة صيفاً وشتاء

فياتاً للفرق في العمل بين الناهض سحراً والمستغرق في النوم الى الضحى هاءنذا اضرب لكم مثلاً محسوساً في رجلين يمارسان مهنةً واحدة: هذا بطرس يثب من فراشهِ كل صباح الساعة الخامسة بينما زميلهُ بولس الذي سهر في السينما الى اواسط الليل لا يستيقظ من نومهِ الّا الساعة الثامنة او التاسعة فيكون بطرس سبقهُ الى الشغل بثلاث ساعات بينما هو يشخر وينخر . واذا اعتاد كلاهما ذلك بلغ الفرق بينهما في الشهر ٩٠ ساعة وفي السنة الف ساعة ويضاهي ذلك ما يزيد على شهرين من الشغل فتأمّلوا

هذا من قبَل التوفير فما قولنا بالنتائج الصحيّة فانّ في النهوض الباكر منفعة حسنة وحسنة ولاسيّما للشبّان المرضين لآفة الاستسقاء التي تتلف قواهم الحيويّة فانّ انجع علاج لهذه الآفة منبّهٌ يوقظهم باكرًا

الصلاة الى الله

وانت يا اخي متى انتبهت من النوم أهبُب حالًا الى خارج سريرك لئلّا تزوح تحت ميلك الغريزيّ ويغلبك خمول الكسل . بادرْ حالًا الى رفع عقلك الى العلاء مهبط القوّة ومصدر كلّ نعمة وتوفيق مردّدًا صلاتك الى ابيك الذي في السماوات ليتقدّس اسمهُ ويبارك نهارك . صمّم العزم على اتّباع صراط الخير واجتناب طرق الشرّ لتقضي نهارك على احسن منوال هو في طاقتك . ولا تُكلّف نفسٌ الّا وُسعها

ولقد جاهرنا بهذا الواجب نحو الله لأنهُ فعّالٌ في النفس من الجهة المعنويّة اي فعل . فانّ الرجل الحكيم على رأينا هو الذي يسلّم خالقهُ إرادتهُ وقواهُ ويفزع اليهِ مؤتمرًا بوصاياهُ ممتثلًا نواهيهُ ويرتقي بآمالهِ ونيّاتهِ وامانيهِ الى السماء فمنهُ تعالى يستمدُّ الفطنة والتدبير في الادارة والهمّة في العمل والصبر على المصيبة والرجاء في الشدّة واليأس . فكم رأينا على هذا النحو ممّن بلغوا شأوًا من الكمال قصيًا فوجدوا في اشراك الحياة — وكم هي وافرة حادّةٌ — وردًا عطرًا اي مسرّة وفائدة . ولا أحيلكم في اثبات الامر الى مثل الشهداء او الى اقوال الاتقياء المصطفى بولس الرسول وانّما اذكّر لكم

كلمةً للشاعر الفرنسويّ الشهير فرنسوا كوبه حيث قال : « لقد وجدتُ في كلام الانجيل في ساعات المرارة هذه القوّة العجيبة انّهُ حبّب اليَّ آلامي » وليس احد منّا يذكر كلام أيوب : « انّ الانسان مولود المرأة قليل الايّام كثير الشقاء » الّا يفقه هذا التعليم لعلمهِ بعظيم فِعْل حالة النفس والقلب في الجسم كما اوضحناهُ في كتابنا علم الصحّة حيث اثبتنا انّ الناعس الحزين فريسةُ المرض وانّ اكثر المصابين بالاوبئة اشدُّهم خوفاً منها . وفي بعض الامثال : من الخوف خافوا والغمُّ والهمُّ سمّ

حفوق البدن . الاغتسال . اللباس

وبعد صلاتك الى الله بادر الى قضاء حقوق بدنك نخصّ منها الاغتسال بالماء البارد في كلّ فصل لما يوليهِ الجسم من النشاط فانّهُ في الصيف يخفض حرارتهُ وفي الشتاء يزيدها بقوّة ردّ الفعل . وهو ينظّف ويصلّب معاً والنظافة في كلّ حال ومكان اساسُ الوقاية وركن السلامة . وعلى عكسها القذارة والوسخ مستقرّ الجراثيم ومنبتها ومرتعها

ولا بأس بعد ذلك ان يرتدي كلّ انسان بما يستحبُّ من اللباس او بالحري بما يطابق الذوق السليم على حسب حالتهِ ومكانتهِ . وانّما يجب ان يحيد عن لبس الثياب الضيّقة لئلّا تضغط على الاعضاء فتؤذيها . وليس الشرط في فصل الشتاء كثرة الثياب وانّما يشترط إحكامُها . ألا ترى انّ اشدّ اعضائنا احساساً بالبرد اكثرها استتاراً كما ان اكثر الناس تأثّراً بالبرد المعتادون وَفرة التدثّر والتلفلف

وهنا لا بُدَّ من تفنيد رأيٍ قديم في البرد ابداهُ الناس زوراً فقالوا انهُ سبب كلّ علّة . وهو حكمٌ سندُهُ في مخيّلة البشر ، وما أظلم البشر ، وها انا أُبطلهُ امامكم في هذا الماء . فقد ثبت لدى نطس الاطبّاء انّ البرد ينشّط الجسم ويزيد شهوة الطعام ويبعثنا على العمل ويجعل النوم هنيئاً . هو الذي يوقف نموّ جراثيم الامراض ويقتل الحشرات كالبعوض والذباب التي تنقلها وتمنع التعفّن والاختمار . قابلوا بين منافع البرد في قاطني شمالي اوربّة وفي انكلترّة وفنلنده وفي صرود لبنان وبين مضارّ الحرّ في اقاليم افريقية وآسية وفي سواحل البحر المتوسّط . ثمّ ان للبرد علاجاً بالاستدفاء والاصطلاء بالنار وقلّما نجد علاجاً للحرّ غير الفرار الى الجبل . ومن ثمّ يحقّ لنا القول :

قد ظلموك أيها البرد فالأولى بهم ان يقولوا عن الحرّ انهُ هو سبب الاسقام والامراض لا عنك انت

ثمَّ انَّ القانون الصحّي يرذل كلّ ما يصعب تنظيفهُ ويسهُل اتساخه كالذيول السابغة والمخابن وطيّات الثياب . وعلم الصحّة يتفق مع الأزياء و « الوردة » الشائعة في عهدنا لولا التهتُّك والخلاعة في بعض السيدات والاوانس . فقد سُررنا بخفّة وطأة المشدّ ذاك القفص الخانق للاحشاء وبقطع السيدات ذيول ثنانيرهنَّ واذنابها مكانس الغبار وتُفّ المسلولين كما لا تزال الى يومنا شائعةً في ملابس المصريين رجالًا ونساء كما في ايام الشاعر :

كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا وعلى الغانيات جرُّ الذيول

فعسانا لا نسمع بعدُ الّا على سبيل « تُذكر ولا تُعاد » وصف تلك الاذيال التي قال فيها الشاعر متهكّماً :

هل رأيتم كفادتي اذ أتتْ تسحبُ الرِّدا
تدخلُ اليوم ثم تَذْ خُلُ اذيالُها . غدا

وما لا شكَّ فيهِ انَّ البساطة في اللباس اجملُ زينةٍ فهي تلطّف سماجة القبيح وتزيد في رونق الجميل هي ستّارة العيوب وكشّافة المحاسن . أمّا ما كان من اللباس والزينة منافياً للآداب داعياً للتهتُّك فهو كمثل الدواعي الى الفحشاء مستكرَه قتّال فحذارِ حذارِ منهُ

الصبوح — الشغل

الصَّبوح (الترويقة) ما يأكلهُ الصائم في الصباح قبل شغلهِ . وافضلُ ذلك ما كان من الالبان والثمار مع شيءٍ من الخبز فاذا انتهيتَ منهُ اسرع الى العمل ناموس الله في خلقهِ « بعرق جبينك تأكل خبزك » . على انَّ الربَّ الذي حكم على الانسان بالشغل رحيمٌ يُشفق بالعباد فانهُ جعل لنا جزاء في العقاب اذ صيَّر لنا الشغل مقوّياً ومعزّياً ومصدراً للإنتاج ومورداً للارباح . ولله درّ المسيو ملّران رئيس جمهوريّة فرنسة اذ نوّه بالشغل يوم كان وزيراً للتافهة في افتتاح معرض باريس سنة ١٩٠٠ فقال :

« أيُّها العمل يا شغلًا محرّر البشريّة ومقدّساً انت المشرّف انت المزيّ . تحت اقدامك يضمحلّ

الجهل ويحرب الشرّ . بك تتحرّر الانسانيّة من عبوديّة الظلمة وتترقّى صاعدةً دون كلالة الى تلك الطبقات العليا المنيرة حيث يتمّ يوماً الاتفاق السامي والتام بين القوّة والعدالة والصلاح »

والكسل نقيض العمل والبطالة اضرّ ما وُجد للنفس وأقتلُ ما عُرف للجسم لأن الانسان كما يقول الكتاب يولد للشغل كما يولد الطائر للطيران فالكسل يخالف طبيعة الانسان . قال فرنكلين : انّ سير الكسل بطيء فما أسرعَ ما تُدركهُ الفاقة . وقد سبقهُ سفر الامثال بقوله (٢٨ : ١٩) . من يتبع الفُرّاغ يشبع فاقةً . ومن حكم فرنكلين ايضاً قولهُ : يقوم الفقر على باب المشتغل ولا يجسر على الدخول . ومن الامثال السائرة : انّ البطالة امّ الرذائل . وزد عليه انّها امُّ الامراض والعاهات وابوها . والعاطل في اللغة الفارغ من الشغل وعند العامّة هو الفاسد والشرير

شروط العمل

ولعلّ سائلاً يسأل وما هي شروط العمل ليتوافر الإنتاج مع اجادة العمل واقامهِ براحة ورغبة وسهولة؟ . فأجيب وجوابي يتناول انواع العمل جملةً :

١ ينبغي الاقدام على العمل بفرح وهشاشة وطمأنينة وعزم وعلى كلّ حال بصبر فانّ العمل المرغوب والشغل المحبوب لا يجد المرء فيه تعباً بل ارتياحاً وسروراً . وعلى خلاف ذلك شغل السخرة وما يعاكس ذوقنا فانّنا نعدّهُ شقاء وحظّاً تعساً

وليرافق الأملُ نشاطنا فانهُ عامل عظيم يسعفنا على العمل فإن فُقد كان الانسان كقاطرة بلا بخار او سيّارة بلا بنزين وقد قال الشاعر :

١٠ اضيقُ العيشِ لولا فسحةُ الأملِ

فان تمّت هذه الصفات وأقبل الانسان على عمل يرغبهُ ويجدهُ ملائماً لذوقهِ ومشربهِ فقُلْ انهُ طابق دعوتهُ بترتيب العناية . فإنّ من الناس من خصّتهُ الطبيعة بصفاتٍ توافق مهنةً دون سواها . فان تمسّك كلّ واحد بدعوتهِ نبغَ وتفوّق . فهذا وُلد ليكون طبيباً وذاك محامياً فان صار الطبيب محامياً والمحامي طبيباً ضلّا طريقهما وخسرا مستقبلهما

زار الوزير الشهير هانوتو أسرة بعض اصحابهِ فوجدهم كئيبين أسيفين فلمّا سألهما عن السبب قالوا : هذا ولدنا قد عاد من المدرسة في آخر السنة وليس في يدهِ جائزةٌ تدلُّ على اجتهادهِ . فسألهم عن ميلهِ الخاصّ الى علم ما او الى بعض الفنون . اجابوا : لا

يُحسن شيئاً البتَّة وانَّما يقضي نهارهُ لاهياً بالطيور وملاعبة الحيوانات وجمع الحشرات. قال هانوتو: دعوهُ اذن يتعلَّم علم الطبيعة. فامتثلوا نصيحة الوزير وقد اصبح ذلك الولد اليوم احد نوابغ فرنسة في العلوم الطبيعيَّة

٢ ولا بُدَّ للعمل من محرِّك سامٍ وغاية شريفة كالقيام بالواجب وخدمة الفضيلة والعلم واصطناع المعروف نحو الوطن او القريب. لخفي على من يقصر نظرهُ في شغلهِ على غايات دنيَّة كالربح الخسيس وحبِّ الظهور والمزاحمة. وليذكر انَّ سعادة الانسان ليست قطّ بكثرة المال كما أوضح ذلك لافونتان في مثل الصيرفيِّ الذي كان مالهُ يقلقهُ ويُسهر جفنهُ والاسكافِ جارهِ الذي كان يطرب فرحاً في شغلهِ فيتسلَّى بالاغانيِّ الرخيمة فيسمعها الصيرفيّ ويزيد قلقهُ الى أن جرَّب الاسكافَ بهديَّة وافرة من المال شغلتهُ عن العمل وازالت راحة قلبهِ وأنستهُ أغانيهُ المطربة فندم واعاد المال لاستعادة مسرَّته. وأتعس من هؤلاء من يرمي في عملهِ الى اللاذِّ وإرواء الشهوات فانَّما مثلهُ مثل مستوقد نار كلَّما زادها حطباً زادت اضطراماً

٣ ثمَّ انَّ للعمل مواقعهُ. فانَّ الشغل يصعب ويتعذَّر اتقانهُ اذا كان النور ضئيلاً او كان المكان قذرًا او كانت ادواتهُ مخلَّة. فحذارِ حذارِ من الشغل في مكان مزدحم يقلُّ فيهِ تجديد الهواء عنصر الحياة الاوَّل. فهناك مستفرَخ السلّ ومنبت فقر الدم وغير ذلك من العلل. وليوقن الجميع انَّ لا حياة للانسان كما للنبات دون اشعَّة الشمس وان الامراض تقلّ والصحة تقوى على قدر وفرة اشعَّتها. فلا افضلَ للجسم من الهواء النقي ولا اسلم لهُ من نور الشمس مبيد الجراثيم الوبيلة ولذلك قيل: حيث تدخل الشمس لا يدخل الطبيب

٤ ومن شروط العمل ترتيبهُ ونظامهُ واعتيادهُ ربما يوسخ فينا فانَّ الثبات كفيلٌ بالنجاح وقلَّما تأتي الشجرة بثمر ان تكرَّر نقلها من مكانها. اذكروا بعض معارفكم تروا انَّ بعضهم بثباتهم فازوا بالمرغوب على قلَّة مواهبهم على خلاف غيرهم الذين لم يتوقَّفوا في امورهم لتنقُّلهم من عمل الى آخر مع وفرة ذكائهم. اجلْ انَّ في ذلك سرَّ النجاح في الافراد وهو سرّ تقدُّم بعض الامم والممالك والجماعات

٥ ومما لا يجوز السكوت عنهُ بين شروط العمل الاستراحة فانَّنا شديدو الاحتياج للراحة بعد العمل احتياجنا لاستئناف العمل. فانَّ الكتاب يذكر انَّ الله

استراح في اليوم السابع وهو الذي جعل الليل للراحة كما جعل النهار للشغل وتدلنا الطبيعة عينها على انَّ النوم يتبع اليقظة وعلى انَّ التعب في العمل يدعو الى الامساك عنهُ برهةً . والتجربة تبين انَّ أقرب الناس الى الوَصَب والتقصير ثمَّ العجز الذين يواصلون العمل بالعمل ولا يعرفون الراحة لا يوم احدٍ ولا عيد . فالقاعدة التي يحسن بك حفظها ان تحيد عن التقصير والافراط معاً لانَّ خيرَ الامور اوساطُها

روى بعضهم عن القديس يوحنَّا الانحلي الرسول انَّ صيَّادًا مرَّ بهِ فرآهُ يتلهَّى بملاعبة حَجَلةٍ فتعجَّب من فعلهِ وسألهُ كيف يستطيع رجلٌ مثلهُ ان يضيع وقتهُ في هذا اللهو فقال : وانت يا ابني لماذا لم تُبقِ قوسَك موتورةً . اجاب : لئلَّا تفقد مرونتها وقوَّتها . فقال القديس : كذلك انا اريح قليلًا عقلي ليسلم ويزيد صلاحاً للعمل

والقاعدة في ذلك ان كلَّ ساعة او ساعتين تجعل للعمل فتراتٍ اي بضع دقائق تقضيها في الهواء النقي بمشاهدة الطبيعة . ويشير الصحيون ان يُقسم اليوم ثلثة اقسام متساوية للشغل والراحة والنوم اي ٨ ساعات لكل قسم . واذا اشتغلتَ تفرَّغ لشغلك بكل قواك وانبذ كلَّ ما يلهيك عنهُ واذا استرحتَ أقصِ عنك الافكار وظلَّ مع عملك فرحَ القلب خالي البال بموجب قول الرسول : افرحوا واقول ايضاً افرحوا دائماً بالربِّ لانَّ بالفرح الطمأنينة وعافية النفس والجسد وافضل مساعد في جهاد الحياة . واذا قضى العامل صباحهُ على هذا الاسلوب بلغ الظهر دون ان يشعر بالملل بل بشهوة شديدة الى الطعام

الطعام — المكرات — المرضين

يُستحبُّ لتناول الطعام ان يكون في مكان نزه وليتقدَّم عليه بفكر رائق ليكون هنيئاً مريئاً بعد غسل اليدين مما يعلق بهما من الادناس وجراثيم العلل . وقد بان بالامتحان انَّ اصلحَ الطعام واسهلهُ هضماً ما كان شهيًّا وتناولهُ المرء في ظروف شهيَّةٍ وبيئةٍ حسنةٍ لازدياد العصير الهاضم واشتداد قوَّتهِ . ولا حاجة قبل الطعام الى كأس من العرق ولا الى «الزَّة» فقد كذب من قال بانَّ «العرق يفتح القابليَّة» فانَّ شهوة الطعام وهضمهُ يورثهما الشغل دون سواه . ومنهُ المثل المشهور : يهضم الانسان بيديهِ ورجليهِ كما يهضم بمعدتهِ

ولا يسعنا هنا الكلام عن المواد الغذائيَّة بالتفصيل وكفى لذلك بتلك النصيحة الذهبيَّة القائلة : « الاعتدال في كلّ شيء وحال »

اللحوم حسنة بشرط جودتها وسلامتها من جراثيم الطفيليَّات والمكروبات الوبيئة . الحبوب من افضل المآكل واغذاها تضمن للجسم الوَقود اللازم لمستوقد الجسم كما انها تشتمل على جانب مما يلزم لتجديد انسجة الجسم والاعتياض عن دثورها . البقول والخُضَر والثمار لذيذة ولو اقلّ غذاء ولاسيَّما ما كان منها غضاً طريًّا . ولا بُدَّ من نظافتها لمباشرتها التربة والسماد . وفوق كلّ لا بُدَّ من مضغ كافٍ وان لا نجلس للطعام الَّا ونحن نشتهيه ونقوم عنهُ مع شهوته فانَّ التخمة والافراط في الاكل آفةٌ للعقل وللجسم معاً وقد قيل : « ما ملأ ابنُ آدم وعاء شرًّا من بطنه »

امَّا الماء فلا يشترط في شربه الَّا ان يكون نقيًّا فانَّ كثيرًا من الامراض كالحمَّى التيفوئيديَّة والزُّحار والكولرا لا تنتقل جراثيمها الى الانسان الَّا بالماء . تعلمون انَّ هذه العاصمة قبل السنة ١٨٧٥ كانت تشرب من مياه الآبار الواقعة في الجنائن فتتحلَّب اليها اوساخ المراحيض وادران المساد فكانت التيفوئيديَّة متيسة ابدًا في ربوعها . وكم كان يفتك في اهلها من وباء الهواء الاصفر لاسيَّما في السنين ١٨٢٠ و١٨٤٤ و ١٨٦٥ و ١٨٧٥ . فلمَّا انعم الله علينا بمياه نهر الكلب بألفتها شركة المياه الى بيروت في قساطل حديد محكمة نجت بيروت من تلك الآفة على خلاف غيرها من المدن كالشام وطرابلس وحلب التي يفتك بها الداء فتكاً ذريعاً حيناً بعد آخر

وما قولنا عن المشروبات الروحيَّة . انَّ علم الصحَّة كالفلسفة يحذّر معاقرة الخمرة فكيف يسعى في جنون بل في علَل وشرور مَن عَقَل ! فانَّهُ ليس في الجسم عضوٌ الَّا يُتلفهُ المسكر ويحوّل شبابهُ الى شيخوخة . يقول الكتاب انَّ في الخمر الدَّعارة وعليه تشهد المستشفيات والمآوى فنزيدنا ضحايا المسكرات كراهةً لها . واني لا أسهب الكلام في هذا الموضوع بعد ما وفاهُ حقهُ امامكم زميلنا وصديقنا الدكتور حبيب الدرعوني ثم اخونا الفلبوني فبيَّنا ما في المسكرات من الاضرار . وكفى الدليل على ذلك انَّ العمى الادبي والحسّي والجنون والشلل والغمّ والسكتة والقروح يُطلّها السكر والخلاعة

وكأني هنا اسمع بعض الحضور يقول لي : لقد ضيَّقتَ يا حكيم في شأن المشروب . نعم اني لو كنت على ثقة من اكتفاء شاربي النبيذ بقليل منهُ مع الطعام

كما يفعل كثير من الاوربيين لما تعرَّضتُ لهم الَّا انَّ الامر غالباً ليس كذلك فاليوم النبيذ وغداً البيدء اي المسكرات البيدة للصحَّة كالعرق والكونياك والوسكي . اليوم كأس وغداً كؤوس . اليوم الخمينية وغداً الأفيَّة فان طريق الشر كمنحدر جبل لا يأمن الجاري فيهِ من الزَّلق والسقوط في قعر الوادي . ومن ثمَّ نؤيِّد تحظير الاسلام والدروز على ذويهم شرب الخمر فيعدُّونهُ رجساً من عمل الشيطان كما اننا نثني على الشريعة الحديثة التي سنَّتها الولايات المتحدة قاضيةً على بيع المسكرات على الاطلاق

وقد يُتساهل بعد الطعام بتدخين لفافةٍ من التبغ وشرب فنجان من القهوة . وانَّما الاولى ان لا يتقيَّد العموم بهذه العادات التي تُصبح ملكات يصعب التحرُّر من رقِّها . وعلى كلِّ حال يجب الحذَر من الافراط

ولاني ذكرتُ التبغ يخال لي انكم راغبون في بعض الايضاح عنهُ فاقول : تلك عادة سيئة شاعت في كلِّ الاقطار وذاعت بين كلِّ الطبقات ذيوعاً كنَّا وددناهُ لما هو أنفع وانجع حتى ألفتهُ البدويَّة التي لم تعرف شيئاً من ازياننا وطُرق معيشتنا فانَّ غليونها لا يكاد ينطفئ

انَّ في التبغ سمًّا قتَّالاً يُدعى نيكوتين يبلغ فيه من ٢ الى ٦ في المئة . ومقدارُ قمحتين منهُ كافٍ ليقتل حصاناً في اربع دقائق . فعلى اساتذة المدارس ان يُبعدوا التلامذة عن شربهِ . فانَّ شربهُ ضررٌ لا نفع فيهِ لا يستطيع شاربهُ ان ينبذ عادتهُ الَّا بشقِّ النفس . ذلك على ما في شربهِ من النفقات التي ربَّما زادت في السنة على ٣٠٠٠ غرش . فيا ليت هذه النفقة تُصرَف في سبيل البرِّ فيذخر شارب التبغ لنفسهِ اجراً وينجو من عواقبه المشئومة

وليست عادة القيلولة بمستحسنة لما تورثهُ من الأرَق ليلاً وما تُخلفهُ من الخمول . وان عرضَ النوم لاحدٍ في الهاجرة فليكن لهنيهةٍ قصيرة جلوساً لا اضطجاعاً

شغل الماء — العشاء — السهرة

وبعد هذه الساعة من الراحة الواجب تخاوُنها بالجذل والمرَّة فليعودنَّ كلٌّ الى عملهِ الى الماء مع فترات تتخلَّلهُ وتساعد على مواصلتهِ بالجدِّ والحزم بحيث لا تتجاوز ساعات الشغل من ثماني الى تسع ساعات في النهار

وما ألذّ بعدهُ ساعاتِ الراحات التي يصرفها المرء في عيلتهِ مع شريكة حياتهِ وبنيهِ عصافير الجنّة . ويحسن وقتئذٍ التسلية ايضاً بتربية الأزهار والعناية بالدواجن من دجاج وحمام وارانب دون الكلاب والقطاط حَمَلةِ الاوساخ والجراثيم المُعدية يدلّلها اهل البيت فيتلوّن بالعدوى . وقد غلب على ظنّي في الشتاء الاخير انّ أُسرة كريمة بُليت كلّها بالنزلة الصدريّة الشديدة دون الحدَم فلم اجد تفسيراً لذلك الّا تدليلهم لكلب البيت وملامستهِ . وما قولنا بالنفقات التي تُصرف على هذه الحيوانات بينما ابناء جنسنا من فقراء ويتامى يتضوّرون جوعاً أليس هذا جرماً اجتماعيًا في حقّ قومنا وهم من لحمنا ودمنا ؟

ومن أفضل طُرق الاستراحة للعَملة قراءة صحافة صالحة او بعض كتب مفيدة وتقويّة كالاقتداء بالمسيح وتراجم القديسين او افاضل الناس . ويحسُن بالمشتغلين في نهارهم بالاعمال العقليّة ان يتلهّوا بالاشغال اليدويّة والزراعيّة . وليس اوفق للاستراحة من سهرةٍ على السطح او في البستان وكذلك التنزّه في البريّة وترويض خفيف للجسم

وهيهات ان أُعدّ بين ضروب الراحة التردّد الى الحانات والمسارح ومشاهد السينما حتى القهوات فانها بيئات فساد الهواء والاخلاق وموارد العلل جامعةٌ في الغالب بين اوبئة النفس وآفات الجسد . فهناك يفقد المرء حبّ الأسرة ولذّة العيلة وبساطة العيش بعشق المُسكر والدعارة . هناك تتسرّب الى القلب التعاليم الكاذبة المموّهة بمظاهر الحقّ ووجوه الصلاح . هناك نستطعم شجرة معرفة الخير والشرّ لظننا انّا اذا ذقناها جلسنا آلهةً . وليست ثمرة هذه التعاليم سوى الطمع بالحياليّات وزرع بذار الحسد والبغض بين الطبقات وفقد القناعة . تلك التعاليم التي استقطت روسيّة من أوج عزّها الى حالتها الحاضرة من الفتن والجور وسوء الحال التي لو ثبتت على ما هي الآن عشرين سنةً لجعلتها في خبر كان

وما لي اخصّص الحانات والقهوات فانّ الفساد في الحاضر ينتشر حيثما يقع بصرُنا ويبلغ سَمْعُنا في السكك والشوارع والاسواق وبين احياء البيوت فقد اصبح الشرّ منتشراً كهواء الجوّ يدخل في كلّ حواسّنا ان لم نحترس من آفتهِ

فان شئتم راحةً منعشة مريحة للقلب اناشدكم الله ان تقصدوا اندية الخير وجمعيّات البرّ وتنتظموا في سلك المؤسّسات الوطنيّة الآئلة الى الخير العام التي تستعيض عن

الكلام الرنان بالعمل الجدّ وخدمة القريب وترقية الوطن . وعلى كلّ فلا فائدة من اطالة السهرات قبل العشاء او بعده والافضل الاسراع الى النوم ففيه الراحة الحقيقيّة للنفس والجسد

واما العشاء فليس لنا في امره نصيحة سوى ما تقدّم من وجوب القناعة والاعتدال وفقاً لما قيل : « قلّل طعامك تحمد منامك » فلقد تتهافت الامراض على بدن التهم تهافتَ الجرذان على مخازن الطعام

ويُستحبُّ النوم من الساعة التاسعة الى الخامسة صباحاً ولا يحسن تأخيرهُ بعد الساعة العاشرة والى ما بعد السادسة صباحاً . ومن المُثبَت ان أفيَد النوم ما سبق نصف الليل

ويتحتّم على المرء قبل نومه ان يُعيد النظر في صفحة يومه ليرى ما طُويَت عليه من خير ليشكر الله عليه ومن شرّ ليستغفر عنهُ خالقهُ . ويا ليتهُ لا يصرخ مع الامبراطور طيطس يوم لم يتّفق لهُ عمل الخير : اني قد أضعتُ نهاري . ومن فوائد هذا النظر في اعمال يومنا انهُ يذكّرنا بما لله علينا من الفضل وبواجباتنا نحوهُ تعالى واتمام وصاياهُ ووصايا بيعته . كما انهُ ينبّهنا الى واجباتنا نحو القريب لئلّا نكون اصناهُ باذًى في شخصه او عِرضه او ماله او صحّته بتعريضه للعدوى فنكفّر عن ذنبنا ونُصلح ما حدث بسببنا

ومع هذا النظر في اعمال اليوم لا يسع الانسان ان يستسلم الى النوم قبل الصلاة الى الله والسجود لعزّته وشكره والتماس مغفرته بالندامة ونعمه لليلتنا . تلك صلاة المساء التي يألفها المؤمن الصادق ينام بعدها قرير العين نوماً هنيئاً مطمئنّاً بلا همّ للغد « والغد يهتمّ بشأنه »

اما صحّة النوم فتقوم بالاضطجاع على فراش بسيط نظيف تسترهُ كلّة (ناموسيّة) من لسع البعوض في غرفة معرّضة للشمس نهارًا قليلة الاثاث دون سجّاد ولا سجوف يلوّثها الغبار ويعشّش فيها اليكروب . والنوم في الظلمة افضل من ايقاد الانوار الصناعيّة لما ينبعث منها من الغازات مع إقلاقها للاعصاب . وليكن اضطجاعك على الجنب الايمن تفادياً من ضغط القلب وتسهيلا لإساغة الطعام في فوّهة المعدة القائمة في جدارها الايمن . ويشير ارباب الصحّة ان نعتاد ونعوّد ذرّيتنا استنشاق الهواء الخارج بفتح

نافذة كل الليل . فانّ بالهوا التقي ننجو من عدّة علل ولاسيما السلّ . فلا نعوّد اولادنا المعيشة الشظفة والتصلّب والرجوليّة فان الحياة جهاد لا يفوز فيه الّا الاقويا.

واذ قد بلّغناكم ايها الكرام الى فراشكم في هذا المساء لم يبق لنا الّا ان نتمنى لكم ليلًا سعيدًا يرفرف حول رأسكم ملاككم الحارس يقيكم كلّ أذى ويوحي اليكم بالاحلام السارّة ثمّ ترون مثلهُ اعواماً عديدة والسلام

كتابة قدس نفتالي اليونانيّة

للاب رينه موتزد اليسوعيّ

قد نشر القسّ الاميركيّ «مك كَوْن» (Rev. Ch. C. Mc. Cown) في مجلّة ابحاث المكتب الاميركي السنويّة في القدس الشريف (١ كتابةً في قدس احدى مدن سبط نفتالي ليس بعيدًا من بحيرة الحولة . وقد كان الابوان اليسوعيّان توما مك كُرْت (Th. M. Mc Court) وادورد بورُوس (E. Borrows) قد اخذا من هذه الكتابة صورة شمسيّة أكملا بها عليّ فتابلتها بصورة الكتابة المحكمة المنشورة في المجلّة الاميركيّة فوجدتها غاية في الضبط . وهذا نصّها الاصليّ بموجب الصورتين

..... ΓΜCΘΕ
ΙΑΙΟΥΟΥΡΑΝΙΟΥC
ΥΠΓΕΝΙΑΕΠΟΙΗCΕΝ
ΔΙΑΕΠΙΜΕΛΗΤΩΝΑΝ
ΝΙΟΥΝΑΙΔΑ ΚΑΙΕ
ΩCΕΟC · ΔΑΜΑΤΟC
ΕΥΧΗΝ

وقد قرأ القس مك كَوْن هذه الكتابة كما يلي :

... ΓΜΕΘΕ [ή] ἀπὸ [Γ] αυρ[ε]ανίου συγγεν(ε)ία ἐποίησε (διὰ) ἐπιμελητῶν Ἀνν[ίου] ..... Δάμα(ν) τος εὐχήν.

(١ دورك اسها Annual of the America School of Oriental Research in Jerusalem, Vols II and III, 1923, p. 113–115 .

وفسّرها هكذا : « أسرة طورانيوس صنعت هـذا كندر بواسطة الوكلاء أنيوس » وقد اهمل الشارح السطر الاوّل مقرًّا بسذاجة انهُ يجهل الاله الذي على اسمهِ أقيمت التقدمة »

ودونك القراءة الصحيحة لهذه الكتابة التي تزيل صورتُنا الشمسيَّة كلَّ مشاكلها

[Ἐξ ἐπιτά]γμ(ατο)ς ou [Ἐκ προστά]γμ(ατο)ς ou Ἐξ ἐπιτα[γ]ῆ[ς θε[οῦ] ἁ(γ)ίου οὐρανίου Συμέ(ω)ν ἐποίησεν δι(ὰ) ἐπιμελητῶν Ἀννίου Νά[γ]δα καὶ Ε[ὐ]σεβίς Δάματος, εὐχήν.

وهذا تفسيرها : « بأمر الاله القدوس السماوي اقـامت سُنفانية (هذا) بساعي الوكيلَين أنيوس بن نغداس ويوسيس بن دمّاس وفاء بنذر »

فهذه الكتابة اذن تذكر تقدمةً (ولعلَّها حقُّ بناية) تفي بها امرأة غنيَّة بواسطة وكيلَين من وكلاء هيكل قدس . فالاشخاص المذكورة هنا اسماؤهم ليسوا من اصل واحد فاسم سُنفانيـة صاحبة التقدمة اسم امرأة يونانيَّـة او متخرّجة على الآداب اليونانيَّة . اما أنيوس بن نغـداس فعربيّ ابن الخيمة جعل مقامهُ عند حدود البريَّة . والثالث يوسيس بن دمـاس هو يهوديّ من الشام واسمهُ كاسم يوسف بن يعقوب كُتب هنا على صورتهِ اليونانيَّة . ولا عجب في ورود اسماء متباينة الاصل فانَّ مدينة قدس الواقعة في تخوم سبط نفتالي التي كان يسكنها اوّلًا بنو اسرائيـل انتقلت في عهد اليونان الى حكم مدينة صور واصبحت مركزًا شهيرًا للدين الوثني .

أما الاله الذي كان معبودًا في هذا الهيكل الذي لا تزال ابنية واجهتهِ محفوظةً فان الكتابة تصرّح لنا باسمهِ فانهُ كان احد آلهة الساميين ينعتهُ هنا صاحب الكتاب بقـدوس وسماويّ الّا وهو «بعل شامين» او بعل السمارات الـذي كان يكرمهُ الفينيقيّون والسوريّون . وهذان النَّعتان كان مشفعًا بهما «جوبيتر بيتوقيتي» اي المشتري معبود حصن سليمان في بلاد عكّار (Waddington. 2072o[a]) . وكثيرًا ما يوصف باحدهما في العهد الروماني آلهةُ مدن عديدة كانت تعبد المشتري او البَعل

ولم يكن معبود قدس المذكور هنـا مجهولًا في السابق فـان المرحوم الاثري كلرمون غانو كان نشر (١ صورة مذبح رسمهُ شرل ولسون في قدس والصورة تمثل

(١ اطلب Palestine Exploration Fund, Q. S. 1903, p. 131 s. = Recueil d'Archéologie Orientale. V, 1903, p. 341 s.

يشلو الاله مواجهةً وهو ذو لحية وعلى جبينه كشكل قرص الشمس المجنّح . ومن ثمّ يمكننا ان نستنتج من هذه الصورة انّ معبود قدَس كان معتبرًا كالشمس فيعدُونها كمعبود ذي سيد السماء والاله الاعظم . فكتابة المذبح المذكور ترقى الى اواخر القرن الثالث للمسيح . امّا كتابتنا فاقدم منها بنحو مائة سنة كما يظهر من شكل احرفها

شعراء النصرانية بعد الاسلام

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٢ امرؤ القيس بن عابس

هو امرؤ القيس بن عابس بن المنذر بن امرئ القيس بن البَطْط بن عمرو بن معاوية بن الحارث الاكبر . كان من نصارى كندة ومن اهل اليمن كسميه امرئ القيس بن حُجر . وروى اسمهُ في شرح شواهد التلخيص (ص ٦٢) « ابن عانس » بالنون . قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ٢٢٢) : « وكان شاعرًا ادرك الاسلام » . وهو معدود من الصحابة . قال ابن الاثير في أُسد الغابة (١ : ١١٥) : « وفد الى النبي فأسلم وثبت على اسلامه ولم يكن فيمن ارتدّ من كندة وكان شاعرًا نزل الكوفة » . وهو غير امرئ القيس بن الاصبغ الكلبي وكان ايضاً نصرانيًا كما رواه في الاغاني (١٤ : ١٦٣) واسلم في زمن عمر بن الخطاب فعقد لهُ على من اسلم من قضاعة بالشام وهو الذي زوّج بثلث بناته المحيّاة وسلمى والرَّباب عليَّ بن ابي طالب وولديه الحسن والحسين

ومما ورد من اخبار امرئ القيس بن عابس في كتاب الاصابة في تمييز الصحابة (١ : ١٢٣) وفي أُسد الغابة لابن الاثير (١ : ١١٥) ما حرفهُ : « كان بين امرئ القيس ورجل من حَضرَموت اسمهُ ربيعة بن عَيْدان خصومةٌ فارتفعا الى النبي صلعم وقال

للحضرمي : بيّنتك وإلّا فيمينهُ . قال : يا رسول الله ان حَلَفَ ذهب بارضي . فقال : مَنْ حَلَفَ على يمين كاذبة يقتطعُ بها حقَّ اخيهِ لقي الله وهو عليه غضبان . فقال امرؤ القيس : يا رسول الله فما لِمن تركها وهو يعلم انهُ حقّ . قال : الجنّةُ . قال : فاني اشهدُك اني قد تركتُها لهُ » . (قلنا) وهذا نعم الدليل على استقامة الكندي ونفوره من الحلف كما اعتادهُ النصارى وتعلّموهُ من انجيلهم

ويؤخذ من تاريخ الطبري (ج ١ : ٢٠٠٥) انَّ امرؤ القيس بن عابس حضر فتح اليمن مع ابن زياد . وقال عبد الرحيم العبّاسي في شرح شواهد التلخيص المسمّى معاهد التنصيص (ص٦٢) : « وشهد فتح النَجير باليمن وهو حصن قرب حضرموت ثمّ حضر الكنديين حين ارتدّوا فثبت على اسلامهِ . . . ولمّا خرجوا ليقتتلوا وثب على عمّهِ فقال لهُ : ويحك يا امرءَ القيس أتقتُلُ عمّك . قال : انت عمّي والله عزَّ وجلَّ ربّي فقتلهُ » . (قلنا) هذا ما تعلّمهُ من دينهِ الجديد . وورد في ابن حجر انهُ حضر فتوح الشام وكان يوم اليرموك على كردوس

امّا شعر امرئ القيس بن عابس فقليلٌ روى لهُ القدماء نتفاً فمن ذلك قولهُ (من الكامل) :

قِفْ بالديار وقوفَ حابسْ وتأنَّ انّك غيرَ آنِسْ (١
لَعِبَتْ بهنَّ الغاديا تُ الرَّائحاتُ الى الروامِسْ (٢
ماذا عليك من الوقو فِ بربا مَدَى الطَّلَلَيْنِ (٣ دارِسْ
يا ربَّ باكيةٍ عليَّ م ومُنشدٍ لي في المجالِسْ
او قائلٍ يا فارساً ماذا رُزِئْتَ من الفوارسْ
لا تَعجَبوا إن تسمعوا هلَكَ امرؤ القيس بن عابسْ (٤

---

١) ويروى : وقوف عابس وتأنَّ انّهُ غير آنس . ويروى : وتأنَّ ٢) ويروى : العاصفات الراغمات من الروابسْ ٣) ويروى : جانك الطلّانيْن . وجامد الظَلَلَيْن ٤) ويروى : عانس

قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء بعد ذكر الابيات الاولى الثلثة (ص ٣٦٩) : اخذهُ الكميت كلَّهُ غير القافية فقال :

قِفْ بالديار وقوفَ زائرْ وتأبَّ انك غيرُ صاغرْ
ماذا عليك من الوقو فِ بعامرِ الطَّلَلَيْنِ داثرْ
درجَتْ عليهِ الغادياتُ من الاعاصرْ

قال ابن حجر العسقلاني (١ : ١٢٤) يذكر نسب امرئ القيس بن عابس : «وجدُّ ابيهِ امرؤ القيس بن السِمْط كان يقال لهُ ابن تَمْلِك وهي امُّهُ وقد ذكرهُ امرؤ القيس الشاعر في قصيدتهِ الرائيَّة فدعاهُ امرؤ القيس بن تَمْلِك فنسبهُ الى امِّهِ . والى ابن عابس نُسبت الابيات اللاميَّة الآتية في لسان العرب (٢٠ : ٢٠) وفي الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص ٢٢) (من المزج) :

أَيا تَمْلِكُ يا تَمْلِي ذَرِيني وذري عَذْلي (١
ذَرِيني وسلاحي ثمَّ م شُدّي الكفَّ بالنَّبْلِ (٢
ونَبْلي وفُقاها م كعراقيبِ قطاً طُحْلِ
ومِنّي نظرةٌ بعدي ومني نظرةٌ قبلي (٣
فإمّا مُتُّ يا تَمْلِي فموتي حُرَّةً مثلي (٤

قال ابن حجر : وهذا الشعر مما اختارهُ الاصمعي لجَوْدة رويّهِ . ومما ورد في كتاب الاغاني (٣ : ٩٧—٩٨) من الابيات التي عليها اصوات ما رُوي لامرئ القيس بن عابس وقد رواهما قوم لامرئ القيس بن حُجر بالغلط وهي الابيات الآتية (من الكامل) :

حيِّ الحمولَ بجانب العَزْلِ اذ لا يوافقُ شكلها شكلي

١) تملي ترخيم تملك . ويروى : يا تملك . . صلبي ٢) ويروى : بالعُزَّلِ . وبالعُذَّلِ
٣) ويروى : نظرة خلفي . قال في اللسان : اي انهمُ ما حضر وغاب
٤) ويروى . فكوني حُرَّة

اللهُ أنجحُ ما طلبتُ بهِ والبرُّ خيرُ حقيبةِ الرَّحلِ
انّي بحبلكَ واصلٌ حَبْلي وبريش نَبْلكَ رائش نَبْلي
وشمائلي ما قد علمتَ وما نَبَحَتْ كلابُكَ طارقاً مثلي

وذكر هناك (ص٩٦–٩٩) الغناء الذي وضعهُ ابو هارون عطرد على هذه الابيات وكيف طرب لها الوليد بن يزيد فرمى حالهُ في بركةٍ مملوءة خمرًا فنهل منها حتى سكر فأخرج منها كالميت

وذكر ايضاً دخول عبّاد بن سلمة ابن قاضي البصرة ليلًا على عطرد مع جماعةٍ فلمّا رآهُ عطرد ومن معهُ فزع فقال لهُ : لا تَرُعْ

اني قصدتُ اليك من اهلي في حاجة يأتي لها مثلي

فقال عطرد : وما هي اصلحك الله ؟ قال :

لا طالبًا شيئًا اليك سوى «حيّ الخُصولَ بجانب الزلِ»

اراد ان يُسمعهم غناءهُ في الابيات السابقة . فقال : انزلوا على بركة الله فلم يزل يغنّيهم هذا وغيرهُ حتّى اصبحوا

وروى ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٩٠٨ و ٤ : ٦٦٢) لامرئ القيس بن عابس في وصف رَوْضة مُنْصَح وهي روضة لبني وكيعة بن كندة (من الطويل) :

أَلا ليتَ شعري هل أَرى الوِرْدَ مرّةً يُطالِبُ سِرْباً مُوكلًا بغُرارِ
أَمام رَعيلٍ او بروضةِ مُنْصَحٍ أُبادِرُ أنعاماً وأَجلَ صِوارِ
وهَلْ اشربَنْ كأساً بلذّةِ شاربٍ مشعشعةً او من صريحِ عُقارِ
اذا ما جرتْ في العظم خِلْتَ دَبيبَها دبيبَ صِغارِ النَّملِ وهي سَوارِ

وقال ابن حُجر (١ : ١٢٤) انّ ابن عابس كتب الى ابي بكر في الردّة (من الوافر) :

ألا بلِّغْ ابا بَكرٍ رسولًا وبلِّغها جميعَ المسلمينا

فليس بجاورًا بيتي بيوتًا بما قال النبيُّ مكذّبينا

ويُروى له في كتب الأدباء ابيات متفرّقة . منها بيت في الكامل للمبرّد (ص ٥٤٦) (من الهزج) :

وقد اختلسُ الضربةَ م لا يَدمَى لها نَصلي

وروى له البكري في معجم ما استعجم (ص ٦٦٩) في مادّة عُواس من قرى الشام بين الرملة وبيت المقدس (من الرمل) :

رُبَّ خِرْق مثلِ الهلالِ وبيضا ءَ لُعوب بالجزْع من عَمواسِ

وكذلك روى ياقوت في معجم البلدان (١ : ١٤١) عن امرئ القيس بن عابس (من المتقارب) :

وإنْ هندُ لا تَنكحي بُوهَةً عليهِ عقيقَتُهُ أَحسَبا

(قال) اي كأن عقيقتهُ لم تُحلَق في صغرهِ حتى شاخ والأحسب ما كان في شعرهِ شقرة

ولم يذكر احد سنة وفاة امرئ القيس بن عابس (له تابع)

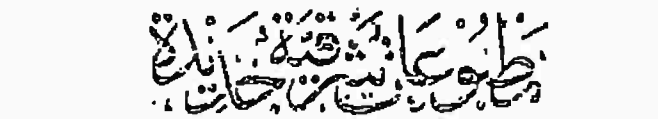

DOM LECLERCQ : Les Martyrs, t. XIV, Corée-Syrie-Pologne (1802-1866), 1 Vol., in-8°, Tours, A. Mame et fils, 1922

تاريخ الشهداء : شهداء كورية وسورية وبولونية

هو المجلّد الرابع عشر من مجموع اعمال الشهداء منذ اوّل النصرانيّة الى عهدنا . يتناول اخبار شهداء القرن التاسع عشر في بلاد كورية (سنة ١٨٠٢) ثمّ في الشام

(سنة ١٨٦٠) ثمّ في بولونية (سنة ١٨٦٦) . وقد ضمّنهُ جامعهُ ٢٠ تقريرًا منها خمسة عشر في شهداء كورية وقرصنين والصين وتونكين وثلاثة تقارير في شهداء بولونية وتقريران الواحد عن ضابط فرنسوي استشهد مع جندي في الجزائر والآخر عن شهداء الشام . على أنّنا كنّا نودّ ان نجد في هذا القسم انتقادًا وافيًا على التقارير المذكورة وأصلها وكتبتها لنستند اليها ثقتنا التامّة . وما لا يُنكر انّ تقريرًا واحدًا عن حوادث الشام سنة ١٨٦٠ غير كافٍ فانّ كاتبهُ لم يذكر الّا ما جرى في دمشق . ويوجد تقارير أُخرى ليست اقلّ شأنًا في شهداء دير القمر وزحلة حيث استشهد خمسة من اليسوعيين . كان من الواجب ايرادها ولعلّهُ يفعل في جزء آخر الاب ج . لوقنك

Carlo Manetti: L'Anatolia, Con una Carta Geografica e sei Cartine in nero. I *Vol. in-12, Collection «Gens Vol. I, Firenze. A Bemporad e figli., Prix L. 7, 50*

بلاد الاناضول

باشر الطبّاع بيوراد نشر مجموع جيوغرافي يخصّص كلّ قسم منهُ لوصف البلاد التي بينها وبين ايطالية مواصلات تجاريّة او معاهدات اقتصاديّة . وهذا الكتاب الذي أرسل لمجلّتنا هو للسنيور مانتّي قد أفردهُ لوصف بلاد الاناضول من حيث جغرافيّتها الطبيعيّة والجغرافيّة الاهليّة والجغرافيّة الاقتصاديّة . وفي كلّ من هذه الاقسام معلومات عديدة وفوائد جمّة اثبتها في كتابهِ استنادًا الى اوثق المصادر واصدق الكتبة على طريقة واضحة مدقّقة مفيدة خصوصًا لاهل وطنهِ . وقد اضاف الى تأليفهِ بيان الطرق التجاريّة الواقعة في المنطقة التي لايطالية فيها التقدّم على سواها من ازمير الى قونية ومنها الى طوربلي وادميش ومن طوربلي الى افردير ومن سكالانوفا الى رودي ومن اضالية الى سبرطة الخ . فتمنّى لهذا المشروع الجديد توفيقًا ورواجًا ج . ل

J. Albert-Faure : L'Egypte et les Présocratiques, I *Vol*, 1923, *Paris, Librairie Stock, Prix* 5 *f.* 75

مصر والسابقون لعهد سقراط

غاية مؤلف هذا الكتاب ان يبيّن ما كان من النفوذ لمصر في حضارة اليونان .

فجمع المؤلف ما رآهُ من الشبه بين المدنيَّتين لكنَّهُ لم يقنعنا بالادلة الراهنة بما اراد اثباتهُ اعني تأثير الفلسفة المصريَّة في عقول فلاسفة اليونان. وربَّما افترض الافتراضات الممكنة في العلاقات بين بعض مذاهب الامتين كمذهب انكساغوراس ومذهب التقمُّص ومذهب الحلول والشركة الَّا انَّ هذه المذاهب مختلفة الصورة والمعنى في كلا الشعبين لا يستطاع بيان صدور الواحد عن الآخر اللهمَّ الَّا ما ذكر عن هيرقليت ووصفهِ للنفس العلَّة مشتقٌ ممَّا ارتآهُ المصريون عمَّا يدعونهُ «خو» وهو احد اركان الاقنوم البشري ا . ب

Arthur Dix: Politische Erdkunde. 1 *Vol. in*-12, 1922, *Ferd. Hirt, Breslau*

وصف الارض سياسيًّا

يُنظَّم هذا الكتاب في مجموع علمي يتولَّاهُ الالماني ايدرمان (Iedermanns Bücherei) وغايتهُ نشر التآليف الواصفة لجميع الشعوب ولبيان حضارتهم واديانهم ومميِّزاتهم وقد ظهر منهُ الى اليوم عدَّة مصنَّفات من هذا القبيل. والكتاب الذي نحن في صددهِ يشتمل خصوصاً وصف دول الارض من حيث السياسة وفيهِ ١٢ خارطة تسهيلًا لمطالعة مضامينهِ. وهو يقسم الى ستَّة فصول يعرض فيها ما يختصُّ بكل دولة ويعرِّف احوالها السياسيَّة والزراعيَّة والتجاريَّة والصناعيَّة وحاجاتها الى الدول غيرها. وقد خصَّص فصلهُ السادس بوصف حالة الدول حاضرًا بعد الحرب الكونيَّة وما حصل فيها من اختلاف النزعات بانقلابيها الحديث. وقد أعجبنا بخارطات الكتاب ولاسيما بخارطة الصفحتين ٤٦ و ٤٧ وفيها خمس صور لمقتنيات اوربَّة في البلاد المجاورة للبحر الهندي في خمسة اطوار التاريخ اي في السنوات: ١٦٠٠ و ١٧٩٠ و ١٨٨٠ و ١٩١٠ و ١٩١٩ فانها تمثل حسناً مطامع الدول في وضع يدها على تلك الجهات الغنيَّة ج . ل

Introduction à l'étude de la Sociologie: LA SCIENCE DES MŒURS par **Paul Bureau.** 1 Vol. in-8, Paris, Bloud et Gay broché 15 F.

مقدمة على درس العلم الاجتماعيّ . علم الاخلاق

العلم الاجتماعي احد العلوم الحديثة التي كثر فيها الى اليوم القال والقيل فلم تزل

اقسام كثيرة منها مجهولة او مبهمة . وكان احد اركان هذا العلم المسيو اميل دورخيم نال في ذلك شهرة بعيدة الّا انهُ مع كل معارفهِ وذكائهِ لم يبلغ الى وضع اساس متين لهذا العلم . وكان الامر يحتاج الى رجل واسع المعارف متضلّع من العلوم الفلسفيّة والاجتماعيّة كثير الاختبار للاحوال السياسيّة والاقتصاديّة وقد اتاح لنا الله ما كنّا نتمناه فقام احد اساتذة الجامعة الكاثوليكيّة في باريس المسيو پول بُورو فوضع كتاباً ممتعاً فصّل فيهِ كلّ اقسام هذا العلم فحدّدهُ وبيّن جوهرهُ ومضامينهُ واثبت انهُ لا يمكنهُ ان يتوقّف على الاخلاق الاجتماعيّة وحدها بل لا غنى لهُ عن المبادئ الفلسفيّة والشرائع الدينيّة وقوانين الآداب العموميّة . فنال كتابهُ رضى كل العقلاء

ل . ش

L'homme né de la Guerre: Témoignage d'un Converti par Henri Géhon. 1 Vol. in-16, Paris, Bloud et Gay. Prix 6 f.

مولود حرب . شهادة مرتدّ الى الايمان

هي ولادة روحيّة ناطا المسمّى هنري جيهون الذي كان قبل الحرب يرتزق بتمثيل الروايات المخلّة بالآداب على مسارح باريس . فاجتمع في ساحات الوغى بضابط همام راسخ في الدين ذي قدوة صالحة اسمهُ دوپواي(Dupouey) فكان لكلامهِ ولمثلهِ وموتهِ الشريف في سنة ١٩١٥ دفاعاً عن الوطن في ساحات بلجيكة الوقع الحسن في نفس جيهون فنبذ اضاليلهُ وارتدّ الى الدين والصلاح فكتب تاريخ ارتدادهِ ودعاهُ «مولود الحرب» وهو سفر جليل يتأثّر من روايتهِ كلّ قرّائهِ . وعند الطبعة الثانية من كتابهِ زادها عدّة قطع منقولة عن مذكّراتهِ في ايّام الحرب . ولم يكتفِ بهذا بل اراد ان يصير رسولاً المسارح الادبيّة والدينيّة فوضع للتمثيل اربع روايات منغمة بالروح المسيحيّ مثّلها امام جماهير عديدة فضّلوها على الروايات الخلاعيّة التي يلهو بها العموم ومن ثمّ اخذ غيرهُ من الممثلين يقتدون بهِ فاختبروا مفعول الروايات الدينيّة في قلوب الشعب الفرنسوي . ولا جرم انّها تصيب ايضاً في ظروفنا نجاحاً تاماً لو اعتمدها اهل الجوقات المثلة

ل . ش

Capitaine Seignobosc: Cours de Topographie élémentaire. *Paris, Larauzelle*, 1923, *pp.* 100, *avec* 107 *figures*, 8° *éd.*, *Prix* 2 *f.* 50

دروس ابتدائية لرسم الاراضي

كنّا قبل زمن طويل وصفنا هذا الكتاب وفوائدهُ للناشئة ولاسيّما لطلبة

الهندسة . وها هوذا قد بلغ طبعتهُ الثامنة لكثرة رواجهِ . وهذه الطبعة قد حسّنها مؤلفها وزاد عليها معلومات ورسوماً جديدة بحيث اصبح الكتاب خير مرشد لهذا العلم الصناعيّ المفيد ج . ل

Les Sourciers et leurs procédés. Les Baguettes-Les Pendules-Les Appareils automatiques et autres procédés par **H. Kager.** 1 Vol. in-12, pp. XVI-332, avec 113 figures, Paris, Dunod. Prix broché 24 f°

مكتشفو المياه الباطنة وطرائقهم المختلفة

نبشّر اهل بلادنا بنشر هذا الكتاب الجليل لما فيهِ من الفوائد للوقوف على المياه الباطنة . وقد كنّا سابقاً نشرنا في المشرق (١٣ [١٩١٠]: ٢٤–٣٢) رسالة للشيخ احمد بن عبد المنعم الدمنهوري في علم استنباط المياه . الّا انّ تلك الرسالة مع فوائدها مبنية خصوصاً على الاختبار . امّا الكتاب الحاضر فهو يجمع بين الاختبار والمبادئ العلميّة . فيستقري صاحبهُ اوّلاً الطرائق الشائعة لمعرفة وجود المياه في باطن الارض وكيف يستعملها القناقن منها العصاةُ الدائرة بين يدي القناقن فيثبت صحّتها في بعض الناس ذوي الخبرة وخلّافها في غيرهم وسببَ دَوَرانها على حسب شرائع امپير . ثمّ يبحث عن الساعات الكشّافة للمياه (Pendules hydroscopiques) وبعض فوائدها ثمّ يذكر بعض الادلّة النظريّة في وجه الارض المشيرة الى وجود مياه باطنة والمفيدة لوضع خارطات لهذه الغاية . الّا انّ هذا القسم الاختباري لا بُدَّ لهُ ليأتي بالمنافع المرغوبة من علم آخر نظري متوقّف على علم تكوين المياه الباطنة ومجاريها وتفرّعاتها مع معرفة الطبقات الارضيّة الجارية فيها وبيان ردّ صدى تلك المياه على وجه الارض بمظاهر دقيقة يمكن مراقبتها بادوات لطيفة تكشف صورتها وحركاتها وتبيّن وفرتها وطبقتها في باطن الارض . فترى كم تهمّ اهل الشام مطالعة هذا الكتاب لاستنباط مياه كثيرة في لبنان وسواحل الشام تذهب سدًى ريثما يستخرجها من مكامنها اهل البلاد ل . ش

I Petite Bible illustrée par Mgr **Bourquard**, 43 éd. — II Récits Bibliques par l'Abbé **A. Boué**, 9e éd. Etablissements Benziger, Einsiedlen, Suisse, avec Cartes et Gravures

التوراة الصغيرة المصوّرة – اخبار الكتاب المقدّس

نوصي بهذين الكتابين كلّ ارباب المدارس لاسيّما المدارس الابتدائيّة فانهما من افضل ما تتلقّفهُ ايدي الناشئة ليتعلّم الاحداث اخبار العهدين القديم والحديث مع

حسن طبعها وكثرة صورها البديعة ورخص ثمنها . والدليل عليه تعدُّد طبعاتها في مدَّة قريبة . ولا عجب فانَّ مطبعة سويسريَّة شهيرة قامت بهذا العمل ليكون هذان الكتابان المدرسيَّان تحفةً ظاهرًا وباطنًا ل . ش

Zurcher-Curtat: 1° VERS L'AVENIR. Conseils pratiques aux jeunes Gens = 2° SOUS L'AILE DE DIEU. Guide pratique de la Jeunesse féminine, in-32, 198 et 208 pp. = 3°LA JEUNE FILLE PIEUSE DANS LE MONDE, par Jeanne de Lacrousille, in-16, 64 pp, mêmes Etablissements

نحو المستقبل – تحت جناح الله – الفتاة التقيَّة في العالم

صدرت هذه الكتب الثلثة من المطبعة السويسريَّة السابقة لافادة الناشئة فالاوَّل يرمي خصوصاً الى افادة الشبَّان وتهذيب اخلاقهم وتربيتهم الدينيَّة وسلوكهم في العالم . والثاني مختصٌّ بالفتيات الناشئات خارج بيوتهنَّ في الاشغال والمعامل فيفصّل لهنَّ واجباتهنَّ نحو الخالق ونحو القريب ويفيدهنَّ علماً عن الامور الصحيَّة وعن الاستعداد للحياة الزوجيَّة . ويشبهُ نوعاً الكتابُ الثالث وهو تأليف احدى النساء التقيَّات اردعتهُ فائدة الفتيات بعد خروجهنَّ من المدارس كلَّ الفروض التي تترتَّب عليهنَّ صيانةً للمبادئ القويمة التي اقتبسنوا على مقاعد المدارس . والكتاب منسوج بروح السيِّد المسيح وتعاليمه الانجيليَّة مشحون بنصائح منقولة عن الآباء القديسين ولاسيما القديس فرنسيس دي سال مرشد الانفس الجليل . فيا ليت بنات سوريَّا يسرحنَّ النظر في هذين الكتابين ويتشبَّهنَّ بتعاليمهما ج . ب

Dottore Luigi el Khazen : I Sino MARONITI , La Nazione et la Chiesa, *Roma, F. Ferrari, in*-16, 1923 *pp.* 41

الطائفة السريانيَّة المارونيَّة

هذه محاضرة القاها حضرة الاب لويس الخازن الراهب الحلبي الماروني في رومية في نادي المكتب الشرقي البابويّ في ٢٧ نيسان ١٩٢٢ فنشرها في كريسة خاصَّة . وليس في هذه المحاضرة ما يجهلهُ أحد عندنا فنكتفي بالاشارة لمحتوياته المنقولة عن تاريخ الدويهي وغيره من المؤرخة

L' INDICATEUR SYRIEN : ANNUAIRE SYRIE - LIBAN, 1923. par E. et G. Gédéon, in - 4, pp. 612 +XX+ ٤٦٠

الدليل السوري لصاحبيه الياس وجرجي جدعون

كنَّا في العام السابق اثنينا على هذا الدليل الذي لا غنى عنهُ لاهل الوطن وبيَّنَّا ما اردعهُ صاحباهُ الفاضلان من المعلومات والافادات الجمَّة . وقد استفادا في هذه

السنة من الملحوظات التي وردتها فحسّنا دليلها واصلحنا ما وقع فيه من الاغلاط وضاعفنا عدد صفحاته وعلّقنا عليه خارطة ملوّنة فجاء كتاباً يجاري ما تنشره الجماعات الاوربية الاختصاصية . ولا نريد بثنائنا هذا ان نقول انّ الدليل بلغ اوج الكمال فانّ بعض معلوماته التاريخية تحتاج الى زيادة في التدقيق وكذلك اسماء الاعلام قد تصحّف بعض منها . ولولا ضيق المجال لدللنا اليها ولا نشكّ ان المرقّمين بالمراجعة يطّلعان على هذه الشوائب التي لا تبخس شيئاً من محاسن دليلها ل . ش

William Popper: Abu'l Mahasin ibn Taghri Birdis Annals. The University of California Press, Vols VI, part 2 N° 2

الجزء السادس من النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة – القسم الثاني

اثبتنا سابقاً ما صدر من اجزاء هذا التاريخ الجليل تتمّة لما طُبع منهُ في مطبعة ليدن فاثنينا على ناشره الفاضل المستر پوپر . وقد اتقنا منهُ آخراً العدد الثاني من قسمه السادس مع الفهارس والملحوظات اللغوية والاصلاحات عليه حتى بلغ مجموعهُ ١٩٢ صفحة يضاف اليها ٨٢ صفحة من الحواشي والافادات فهو نعم التاريخ لاحد كبار المؤرخين . وهذا القسم السادس يتناول اخبار ممالك مصر من السلطان الملك المظفّر ابن الملك المؤيّد شيخ الى وفاة الملك الاشرف برسباي . وقد اعتنى فيه متولّي نشره عناية خاصة لا يؤخذ عليه الّا بعض اغلاط طفيفة لا يصعب على القارئ اصلاحها

Carl Bezold: Nachruf. im Namen d. phil. Facultät d. Universität Heidelborg von F. Boll. *Heidelberg*. 1923, *pp* 12

ترجمة المرحوم الدكتور كرل بتزولد

فقدت العلوم الشرقية عموماً والاشورية خصوصاً بوفاة الدكتور بتزولد احد اركانها المعدودين . فاحبّت جامعة هيدلبرغ ان تخلّد ذكرهُ وهو من اساتذتها في مجلّتها العلمية التي روت لهُ في حياته عدّة مقالات جليلة . فاوعزت الى احد اعضائها فرنتس ان يكتب ترجمتهُ ففعل وقد أُرسلت لنا نسخة منها فاطّلعنا عليها بانشراح لما كان بيننا وبين المرحوم من الوداد . وكذلك ارسلت لنا السيدة قرينتهُ ادال بتزولد (Adele Betzold) نسخة من قائمة مطبوعاته وتآليفه (Verzeichnis der Schriften C. Bezold's) التي عُنيت بجمعها فاذا هي تبلغ بين طويل وقصير ٢٣٦ عدداً فتاهيك بهذا دليلاً ناطقاً عن سعة علم ذاك الرجل النابغة ل . ش

كشف الخفاء عن محابس لبنان والجبساء

بقلم الاب فيلبس داغر الشدودي

طُبع في مطبعة الاجتهاد سنة ١٩٢٣ (ص ١٦٠)

قد اطّلعنا على هذا الكتاب بلّ السرور لما يفوح بين سطوره من عبير القداسة والبرّ . وقد اخذنا العجب لسكوت السَّلَف عن مفاخر لبنان هذه الصحيحة التي تفوق على بقية خواصه الطبيعيّة وعلى مآثر ابطاله وجنوده . ولا غرو اذ لنا في نسّاكه وقديسيه ابطال اعظم شهامة « انّما مَن يتّقي الله البطل » فنشكر حضرة الاب داغر لإحيائه ذكر اولئك الابرار . ولم يكتفِ بذلك بل زاد كتابهُ نفعاً بما قدّم عليه من تعريف اصول الحياة النسكيّة في لبنان منذ سالف الزمان ووصف المحابس القديمة وبيان قوانين الجبساء قبل انشاء الرهبانيّات المنظّمة فنهج بذلك طريقاً سَهلة لمن يريد البحث في هذا الموضوع فيأتي بعده بمعلومات جديدة مطويّة في زوايا النسيان ل . ش

ديوان الدرر الحسان في مدح الاعيان

لناظمه الشيخ عبد الرحمان قريطم البيروتي

طبع بمطبعة صبرا في بيروت سنة ١٩٢١ في ٩٣

الشيخ عبدالرحمان قريطم احد شعراء بيروت المغلقين بين متانة الشعر القديم ورقة النظم العصري . وقد خصّ معظم قصائده بمدح الاعيان من مسلمين ونصارى ويهود حيثما تجد تريحتهُ من كان اهلاً بالمدح . ولهُ ما عدا المديح مقاطيع رائقة في الاوصاف والتهاني والهجو . فمن وصفه ما كتب على بركة في «مبارك» بيروت :

نحيا الانامُ اذا همَتْ سُحب السما والماء في الدنيا حياةُ الانفسِ
والارضُ تحيا والرياضُ كأنما لبستْ رداءً اخضراً من سندسِ

ومن تهانيه قولهُ يهنئ صديقهُ انطون بك شحيبر برئاسة محكمة تجارة بيروت :

الى أنطون بدرِ العلم أهدي هناءً كاللآلئ بالرئاسة
رئيس للتجارة عيّنوهُ اصابوا اعظم لذوو فراسة
تراهُ دائماً للحقّ ناصراً وهو عمادُ حمايةْ
اذا حادثتهُ يوماً تراهُ يجلبهِ اللطافة والكياسة

ومن هجوه قولهُ في ثقيل كثير الكلام :

ربَّ شخصٍ مثل الجبالِ ثقيلٍ وكثيرُ الكلام فظٌّ غليظُ
ربِّ فاحفظ لسانهُ بلجامٍ من حديدٍ وانت انت الحفيظُ

شذرات

﴿احتجاج حليم افندي دمُوس على انتقادنا لقاموسه﴾ اذا كتبنا في عدد حزيران (ص ٤٣٢ — ٤٣٨) انتقادنا لقاموس العوام لحليم افندي دمُوس لم نُقدم عليه الا اجابةً لملتمسه من اخوان الادب ان ينبّهوهُ الى كلّ نقص او خطإٍ في هذا المعجم الجديد ليتداركهما في الطبعة الثانية . فعلمنا لا افتئاتاً عليه بالباطل بل خدمةً للغة ورغبةً في تحسين معجمه ليصبح في طبعته الثانية كتاباً مدرسيًّا لا يشوبُهُ نقص . والظاهر انّ هذا الانتقاد الذي عرضناهُ بكل بساطةٍ دون ادنى كلمة جارحة مستندين في كلّ بابٍ من ابوابه الى ادلّة متنعة من مصادر لغويّة موثوق بها لم يَرُق في عين صاحب قاموس العوام فحاول تفنيدهُ في بعض اعداد جريدة المقتبس مبيّناً بذلك انهُ لم يلتمس انتقادًا صحيحاً بل تقريظاً فارغاً شأن كثيرين من كتبة الوطن . وقد اخذنا العجب من ردّهِ على حججنا فبدلاً من ان ينكر الشواهد التي قدّمناها لهُ حاول تخطئتنا بما اتى في بعض المعاجم العربيّة او الفرنسويّة التي طبعها غيرنا من المحدثين قبل ٣٠ او ٤٠ سنة وهم من الفرنج الذين استندوا في معاجمهم غالباً الى كتب الاجانب الذين مع اجتهادهم وخدمهم المشكورة لاوطاننا وآداب لساننا فاتهم كثير من دقائق اللغة . أفيجوز لحليم افندي دمُوس ان ينقد انتقادنا المبنيّ على تآليف اللغويين الاقدمين بذكر ما جاء بتلك المصنّفات المتحدثة كأننا مسئولون عمّا ينشرهُ غيرنا او كأنّ ما كتبوهُ كلامٌ مُنزل لا يُستطاع النظر فيه لتحسينه . فعلى هذا البناء يسقط علم الانتقاد ولا يبقى وجه للرقي والنجاح . وعلى كلّ حال انّنا ابدينا رأينا في قاموس العوام فندع مؤلفهُ وشأنهُ سواء اعار كلامنا بالًا او نبذهُ تاركين الحكم في صوابنا للمنصفين من القرّاء .

﴿البستيل في نظر مجلّة الحارس﴾ ورد في عدد مجلّة الحارس في تاريخ ١ تموز ١٩٢٣ (ص ١٤٧) الوصف الآتي لسجن البستيل قال :

« كانت البستيل اصلاً حصناً من حصون الدفاع عن باريس . موقعها في بورت سانت انطوان

«باب مار انطونيوس» ثم تحولت بتقادم العهد عليها الى سجن كما هي اليوم مثلاً قلعة طرابلس. وقد كان تاريخها وهي سجن مملوء بالاهوال والفظائع (كذا) حتى قيل انّ كلّ ذرّة من ثراها مجبولة مرارًا لا تُعَدّ ولا تُحصى بدموع ضحايا التعصّب الديني والسياسي (كذا). كانت احيانًا اسباب عائليّة تكفي لزجّ اشخاص هناك طول حياتهم من دون محاكمة على الاطلاق نظرًا لنفوذ خصومهم في قصر الملك. والكتّاب الذين كانوا يجسرون على انتقاد حركة من حركات الملك والمقرّبين منهُ. وذريهم واصدقائهم كانوا فريسة مخصوصة لقلعة البستيل . . . فعُدَّ البستيل رمزًا ابديًّا للظلم والاستبداد قلّما دكّها الثوّار تنفّست كلّ اوربا الصعداء فنظروا . . . الى الحادث كفاتحة عهد جديد للانسانيّة »

يسوءنا ان كاتبًا اديبًا كمدير مجلّة الحارس ينقل مثل هذه الاكاذيب التاريخيّة التي روّجها ثوّار سنة ١٧٨٩ ليستروا فضائحهم ويوهموا صحّة الاخبار على الشعب فانّ سجلّات دولة فرنسة الخفيّة التي نُشرت قبل خمسين سنة لم تدع في الامر ريبًا . كان البستيل سجنًا بسيطًا من سجون فرنسة لا شيء فيه من الفظائع والاهوال التي ذُكرت في الحارس . ولمّا فتحهُ الثوّار عنوةً متحاملين عليهِ بعد تهييج القوم بمظاهر كاذبة كأنهم زاحفون على حصن منيع لا يُنال ففتحوهُ دون عناء لم يجدوا فيهِ الّا سبعة اشخاص واحد منهم مجنونٌ يلغ والثاني محبوس لدين مختلَقة . والثالث حُكمَ عليهِ لتآمرهِ على الدولة . ثمّ اربعة مزوّرين للنقود . والحقّ يقال انّ الفاتحين للبستيل اتوا يوم فتحهِ من المآثم والمذابح والفظائع التي هي احقّ بوصف الحارس وتقبيحهِ لها من تشنيعهِ زورًا على اعمال ملوك فرنسة وهم بريئون ممّا نُسب اليهم

﴿اسماء احرار محفل الحكمة الماسوني في بيروت﴾ كانت مجلّة البيان في عددها ٢٨ الصادر في ٧ تموز نشرت صورةً اعضاء محفل الحكمة الفرمسون في بيروت ولم تدوّن اسماءهم الكريمة فرأينا ان نفيد القرّاء عنها ليعرفوا هؤلاء الاحرار وما نالوهُ من الشرف بالدخول في محفل ماسوني . وفي الصورة اعداد لكل منهم اعتدنا عليها :

١ لبيب الرياشي ونيس المحفل (روم كاثوليك) . ٢ يوسف يزبك سكرتير (ماروني) . ٣ عبدو زحيل (ر ك) . ٤ دانيال لبفي (يهودي) . ٥ وديع برباري (ر) . ٦ الياس نقّاش (م) . ٧ عيسى سابا (ر) . ٨ بطرس سرسان (؟) . ٩ جورج بردخجي حلبي . ١٠ سليم نكري . ١١ ابرهيم بديد (ي) . ١٢ شكري ابو سمح (ر ك) . ١٣ فرح حبوبة (ر) . ١٤ دانيال لبفي (ي) . ١٥ نسيب زين الدين (درزي) . ١٦ حنّا منصور صالح (ر) . ١٧ اسكندر ابو سمح (ر ك) . ١٨ حنّا الزغبي (م)

فترى انَّ بين المذكورين ليس واحد من الشذوات مِمَّن تفتخر الاسونيَّة باسمه الكريم . فيا أيتها الحكمة لهفي عليكِ في اي محفلٍ سقطتِ !

﴿وفاة الاب الياس كولن اليسوعي﴾ توفي الاب كولن (E. Collin s. j.) في ١٠ نيسان الاخير في مدغسكر بعد أن أدَّى للعلم ولوطنه خدماً لا تحصى مدَّة نيف وخمسين سنة في تلك المستعمرة فمنحته فرنسة وسام جوقة الشرف ونال امتيازات عديدة من الجمعيَّات العلميَّة الفرنسويَّة والاجنبيَّة . انشأ في عاصمة مدغسكر مرصداً فلكيًّا يدوِّن فيه كلَّ حركات الجوِّ فيُرجع الى معلوماته في بحار الاوقيانوس الهندي . وقد أَلَّف كتباً في الهيئة والفلك أجازتها اللُّجَن الخاصَّة . وقد اشتغل برسم خارطة مدغسكر التي ساعدت الفرنسويين في فتح تلك الجزيرة . وكان الاب كولن ضليعاً في علم الاخلاق وفي الموسيقى له في كليهما مصنَّفات جليلة

﴿انَّما الدين ان نعيش كراماً﴾ هذا عنوان قصيدة نشرتها مجلة البيان في عددها ٢٥ الصادر في ٢٧ حزيران وفيها من المعاني الكفريَّة التي على ما نظنّ لم يفطن لها مديرها . وغريب الامر انَّ صاحبها عبدالله افندي حشيمة هو احد اساتذة مدرسة بيكفيَّا الوطنيَّة . فمنها الابيات الآتية :

ان تكن بيننا المذاهبُ شتَّى تلك يا قومُ حكمةُ الرحمانِ
فهو لو شاء وحَّد الدينَ يوماً في ثنيات الاقوام والازمانِ
انَّما الدين ان نعيش كراماً تلك والله غاية الاديانِ !!

ففي هذا الكلام من التجديف على الخالق وعلى حكمته ما ينفر منهُ كلّ عاقل فضلاً عن كل رجل ذي دين اذ ينسب الى حكمة الله عزّ وجلّ تفريق الاديان حتى الشرك والوثنيَّة ويجاهر بعدم مشيئته تعالى ان يقوم الدين الصحيح ويُقدم الناس عليه أفهذا ما يعلمهُ عبدالله افندي تلامذة مدرسته الوطنيَّة ؟

أسئلة وأجوبة

س سأل مستفيد من الموصل ما معنى « الاندلس » بلاد الاسلام قديماً في اسبانية وهل هذه الكلمة عربيَّة

اسم الاندلس

ج الاندلس الثابت اسمها الى اليوم في اسبانيا على صورة (Andalusia)

لفظة مصحّفة عن اصلها اللاتيني (Vandalitia) اي بلاد الفندال وهم جيلٌ من الامم ملكوا على شمالي افريقية واستولوا مدةً على جنوبي اسبانية فاشتقُّوا اسم الاندلس من اسمهم ل.ش

س كتب من حمص جناب الصيدلي انطون يوسف تنلجي : ارجوكم ان تجيبوا على السؤالين الآتيين وقد عرضهما على احد المسلمين : ١ً اذا المسيح وهو اله استقام في احشاء والدته تسعة اشهر وولد منها كبقيّة البشر ثم بقي ثلاثين سنة خامل الذكر قبل ان يظهر مجدهُ الالهي . ٢ً لأي سبب لم يخلص يوحنّا المعمدان من سجنهِ ولم يُحيهِ بعد قطع رأسهِ ويوحنّا ابن خالته

السيّد المسيح في ميلادهِ — سبب اهمالهِ يوحنّا في سجنهِ وموتهِ

ج الجواب على (الاوّل) انّ المسيح اخذ الطبيعة البشريّة كما هي في كلّ احوالها واطوارها ونقصها وقبولها للآلام والموت لم يستثنِ شيئاً الّا الخطيئة كما ورد في رسالة بولس الى العبرانيين (٤ : ١٥) وليس في الولادة من امرأةٍ خطيئةٌ . لا بل تعرف ويقرُّ بهِ المسلمون مثلنا انّ السيد المسيح وُلد من مريم العذراء دون مجامعة بشريّة وانّ والدتهُ ثبتت على بتوليّتها بعد ولدهِ . ثمّ لو كان المسيح ولد على غير طريقة لعدَّهُ الناس شخصاً خيالياً لا صحّة لناسوتهِ ولذلك اذا تكلّم عن نفسهِ يقول عن ذاتهِ انهُ ابن البشر . امّا عدم ظهورهِ للعالم قبل سنّ الثلثين فذلك حتى يعلّمنا بأعمالهِ وفضائلهِ ما كان مزمعاً ان يعلّمنا اياهُ بأقوالهِ كما قال القديس لوقا في فاتحة سفر الاعمال . ثمّ انّ علماء الشريعة بين اليهود لم يُقدموا على التعليم الّا في سنّ الكهولية لئلّا يُنسب كلامهم الى نزق الشباب فجاراهم المسيح في ذلك — ونجيب على (الثاني) انّ المسيح لم يشأ ان ينقذ يوحنّا المعمدان من ايدي هيرودس وسمح بقتلهِ لاسباب . اوّلاً لانّ يوحنّا كان قد اتمّ دعوتهُ وكانت دعوتهُ ان يبشّر بمجيء المسيح فلم يبقَ لهُ الّا ان ينقص هو وينمو المسيح كما صرّح بذلك هو ذاتهُ عن نفسهِ . وما الحاجة الى السراج اذا طلعت الشمس ؟ . وثانياً كان المسيح يعرف ما سينالهُ يوحنّا من المجد بالاستشهاد ولذلك تركهُ في ظلمة السجن ولم يحيهِ بعد موتهِ لينال ثواب الشهداء ويشبه بذلك سيّدهُ الذي مات بعدهُ على الصليب وليس العبد افضل من سيّدهِ ل.ش